الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

فن الترسل في الأدب العربي الحديث

دراسة أجناسية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

حدو نفيسة

زوبيدة جهيدة

إشراف الأستاذ الدكتور:

أ.د دبيح محمد

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة
أ.د. مكيكة محمد جواد	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
أ.د. دبيح محمد	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
أ.د. خروبي بلقاسم	أستاذ التعليم العالي	مناقشا

السنة الجامعية :1445-1446هـ/2023-2024م

قال الله تعالى:

﴿ قل رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾

طه الآية: 25-28.

شكر و عرفان

بداية أحمد الله تعالى على توفيقه في إنجاز هذا العمل المتواضع والذي أمدنا بالصبر والعزيمة، وأشكر الله أيضا على جميع النعم التي وهبنا إياها ودفعنا إلى السير في طريق الحق والعمل والمعرفة.

كما نتشرف بتقديم أسمى عبارات التقدير إلى الأستاذ المشرف "دبيح محمد" ونشكره على كل النصائح والتوجيهات التي أفادتنا والذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته.

كما لا ننس لجنة المناقشة على تكرمها بقبول مناقشة هذه المذكرة.

وفي الأخير إلى كل من علمنا حرفا نقول له شكرا.

إهداء

وبكل حب اهدي ثمرة تجربتي إلى:

نفسي أولا ثم إلى كل من سعي معي لإتمام هذه المسيرة دمتم لي سندا لا عمر له.

من قال فيهما الله تعالى: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياهم وبالوالدين إحسانا."

إلى ركني العظيم في الحياة إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من احمل اسمه بكل فخر إلى ذلك الرجل العظيم الذي يبذل كل ما بوسعه مأمني الوحيد فرحتي الدائمة "والدي العزيز" متعه الله بالصحة والعافية.

والى من جعل الجنة تحت أقدامها واحتضنني قلبها قبل يديها وسهلت لي الشدائد بدعائها إلى اليد الخفية التي طالما تمنيت أن تقر عينها في يوم كهذا "أمي الغالية".

إلى أخواتي وأخي نور المحبة في حياتي.

إلى من جد علي بوقته وأكرمني بفضله إقرارا مني بفضله واعترافا بحقه كان لي خير عون وسند "زوجي".

والى كل من كان له العون في مذكرتي ومن شاركني لحظات كتابتها وتحضيرها جزاكم الله خيرا.

زوبيدة جهيدة

إهـداء

الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن صار على هديه إلى يوم الدين، أما بعد:

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى:

نفسي العظيمة القوية التي تحملت كل العثرات رغم الصعوبات.

إلى الرجل العظيم قدوتي ومسندي

"والدي العزيز".

إلى السيدة العظيمة التي رافقتني

في كل أوقاتي "أمي الحبيبة".

إلى إخوتي واختي أدامكم الله ضلعا ثابتا

الذي أستند عليه.

حدو نفيسة

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن، ورفع به الإنســـان، وجعله نور القلوب والأبدان وكرم لأهله بالفوز بالدنيا ويوم يحشر الثقلان، وبشر حامليه وحفظته بالمغفرة والرضوان والفلاح والفوز بالجنان، والصلاة والسلام على النبي الهادي العدنان، محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن سار على نهجه بإحسان أما بعد:

فقد وســم الأدب العربي في العصــر الحديث بنهضــة أدبية في مجال الفنون النثرية، فظهرت أنواع جديدة لم تكن معروفة من قبل، بفعل حركة التلاقح الفكري بين العرب والغرب، بينما ازدهرت فنون أخرى وتجددت مضــامينها وأشــكالها البنيوية. ولعل أبرز هذه الأنواع المتداولة التي عرفت اســتمرارا وتجديدا في الوقت نفسه حركة الترسل بين الكتاب والشعراء والعلماء والسياسيين.

ولئن غلبت عليها في البداية النزعة التقليدية من خلال إعادة إنتاج أساليب الكتابة الترسلية القديمة وأغراضها، فإن فن الترسل تجاوز بعد ذلك المنوال الكلاسيكي، و التقاليد الكتابية المعروفة، وعرف تجديدا في أسلوب و أشكال الترسل ومضامينه على أيدي دعاة التجديد بدءا من أدباء الرومانسية، و قد عرف هذا الشكل التعبيري الكثير من الإشكالات الجديدة التي لم تعرف من قبل، أو لم يصرح بها في المشهد الثقافي العربي، و لعل أبرز هذه الإشكاليات، إشكالية التداخل الأجناسي، إذ لم يعد هذا الفن جنسا أدبيا خالصا، بل يخضع أحيانا نوعا أدبيا ضمن جنس أدبي عام، ففي الشعر نجد الرسالة، وفي الرواية يستعين السارد بالرسالة، و القصة أحيانا قد تدور أحداثها حول رسالة بين شخصيتين بارزتين. أما الإشكالية الثانية التي نصادفها أثناء دراسة الترسل في الأدب العربي الحديث، قضية التصريح والتلميح في الرسالة، وخاصة في الأدب النسوي، إذ تتضمن الرسالة عادة تلميحات ترفض الأنثى الإدلاء بها صراحة خوفا من الرقابة الأبوية أو الاجتماعية أو السلطوية بصفة عامة.

من هذه المنطلقات النظرية والتاريخية جاءت مذكرتنا الموسومة بفن الترسل في الأدب العربي الحديث دراسة أجناسية

وموضوع مذكرتنا يستمد أهميته من طبيعة الموضوع ذاته الذي يحمل في طياته الكثير عن الحياة العقلية والثقافية للعرب في العصر الحديث، كما يبين عن المكانة التي كانت تتبوؤها الكتابة والكتاب في هذه المرحلة التاريخية الهامة، وعلاقة ذلك كله بالأسرة والمجتمع.

وقد وجدنا في نفسينا ميلاً إلى هذا الجنس الأدبي الذي له امتداد عظيم في تاريخ الأدب العربي مشرقاً و مغرباً، فقد كانت تنشأ له الدواوين و يوظف له أغلب الكتاب، وأبرعهم وأجودهم خطاً و أقدرهم على تدبيج الرسائل ممن يتوسم فيهم الصلاح و التقوى و الصدق والورع و غير ذلك من حميد الصفات، كما ألفت المصنفات الحديثة و المعاصرة التي تتحدث عن هذا الجنس الأدبي و خصائصه و شروط ممارسة هذه الصناعة و ما يحتاج إليه الأدباء من معارف في مختلف التخصصات.

ويطرح موضوعنا الكثير من الأسئلة، لعل أهمها:

-ما المقصود بفن الترسل؟ هل هو ذلك الفن النثري الذي يتناول المراسلات الديوانية والإخوانية؟ أم هو الكتابة والإنشاء في حد ذاتها؟ أم يقصد به طريقة الكتابة الخاصة ببعض الكتاب الذين ازدهر صيتهم في العصر العباسي الثاني والثالث؟

- ما هي الخصائص المضمونية لفن الرسالة في النثر العربي الحديث؟

-ما الدلالات التي كانت ولازالت تحملها هذه الرسائل في الاستعمال والتداول؟

ولتتبع مباحث هذا الموضوع وعناصره استعنا في جوانبه النظرية بالمنهج التاريخي، إذ ارتددنا للعصور التاريخية التي مر بها النثر العربي القديم وحاولنا من خلالها البحث في نشأة هذا الفن وتطوره، وأهم التغيرات التي طرأت عليه في الفترات التاريخية المختلفة. أما فيما يخص الجانب التطبيقي فاستعنا فيه بمعطيات المنهج الأسلوبي في مقاربة رسالة إخوانية لجبران خليل جبران، وحاولنا تحديد أهم الخصائص الأسلوبية التي انطوت عليها هذه الرسالة، انطلاقا من ظروف التخاطب التي يوفرها لنا الخطاب الرسائلي.

فجاء بعد ذلك عملنا في صورة مدخل وفصلين وخاتمة أجملنا فيها مختلف النتائج التي توصلنا إليها.

فالمدخل مهّدنا فيه عوامل نهضة الأدب في العصر الحديث، حيث برزت قوالب تعبيرية جديدة تمثلت في القصة، الرواية، المقالة، المسرحية والرسائل الأدبية، فقد تحدثنا باختصار عن كل نوع على حدة.

فالفصل الأول تناولنا فيه: الدلالة اللغوية و الاصطلاحية لفن الترسل، نشأته عبر العصور، أنواعه، وأشهر المترسلين والكتاب لهذا الفن.

أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا إجرائيا اقتطفنا فيه رسالة من الرسائل الإخوانية لجبران خليل جبران وقاربناها مقاربة تداولية، حللنا فيها الرسالة في ظل ظروف التخاطب التي جمعت بين المتراسلين، وأهم القضايا الأدبية التي ارتأى التحدث عنها في رسالته للأديب "ميخائيل نعيمة".

ومن الدراسات السابقة التي تتقاطع مع موضوع بحثنا في بعض جزئياته:

- الرسالة الإخوانية في التراث العربي مقاربة أسلوبية، لبراهيمي صليحة رسالة الماجستير في الأدب العربي، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس.
- بلاغة الخطاب الترسلي، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، من إعداد الطالبة علة ثليجة.
- الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني أحمر، رسالة ماجستير في اللغة العربية وأدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، أيار، 1994م، من إعداد عبد الحليم حسين جدوع الهروط.
- الرسائل في العصر العباسي: أنواعها وخصائصها الفنية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، من إعداد، أسماء عبد الرؤوف عطية الله.

ومن أبرز المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها:

-الأدب المقارن لمحمد غنيمي هلال.

-الأدب العربي في الأندلس لعبد العزيز عتيق.

-تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف.

- الجامع في تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري.
- نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي لحسين نصار.

كما لا يخلو أي بحث من معطيات تعترض سبيل الباحث كان أهمها:

الصعوبة في العثور على المراجع الدقيقة والمتخصصة التي تلبي احتياجات موضوعنا، على الرغم من وفرة الكتب التي تناولت فن الترسل وعلى الرغم من هذه الصعوبات إلا أننا استمرينا في دراسة هذا الموضوع وتخطينا الصعوبات مما أتاح لنا فرصة لفهم أعمق لفن الترسل.

وفي الختام لا يسعنا إلا التوجه بالشكر والامتنان إلى كل من أضاء دربنا وقدّم لنا يد العون من قريب أو بعيد، وعلى رأسهم الأستاذ المشرف على بذل جهد لا يضاهى في توجيهنا وتقديم النصائح القيمة التي ساهمت في إتمام دراستنا بنجاح.

تيارت في 2024/06/11

الطالبتان:

حدو نفيسة

زوبيدة جهيدة

المـدخل

تطور الكتابة النثرية في العصر الحديث :

عرف العصر الحديث تطورا شاملا في شتى الميادين، خاصة على مستوى الحركة الأدبية، وذلك بانبعاث نهضة حديثة، والتي بدورها مثلت جوهر التحول وغيرت مساره. إذ بدأت النهضة في العالم العربي في أواخر القرن التاسع عشر، وأخذت تعنى بإحياء التراث الأدبي القديم وطبع عيونه، ونشره للقراء والمهتمين، فذاعت الصحافة، وكثرت المطابع، وطفقت الثقافة الغربية تفد على عواصم العالم العربي وتغزو معاهده وجامعاته عن طريق إرسال البعثات الموفدة إلى أوربا، والمدارس الأوروبية التي أنشئت في كثير من المدن والعواصم العربية، وعن طريق الاختلاط بين العرب والأوربيين في كل مكان، وكان لذلك صداه البعيد، وأثره القوي على الأدب.[1]

أحدثت هاته النهضة التغيير الجذري في الأدب العربي، ومكنته من تطوير الأنواع النثرية، وقد ابتدأ هذا التطوير بالسنوات الأولى من القرن العشرين حيث ظهرت الصحافة لأول مرة في تاريخ هذه البلاد، فظهر بظهورها نوع جديد من أنواع النثر الأدبي يختلف في شكله ومضمونه عن تلك الأنماط الأدبية التقليدية، وبانتصاف القرن العشرين دخل الأدب العربي في مرحلة جديدة من مراحل حياته[2] إذ تطورت الكتابة النثرية جنبا إلى جنب مع الحركات الشعرية التي ظهرت آنذاك.

لقد ساهمت الصحافة وظهور الطباعة في انتشار وظهور فنون نثرية منها المقالة والرسالة الأدبية والقصة وغيرها من الفنون الأخرى. كما نقلت أثار العرب ونتاج عباقرته، ووسعت أساليب الكتابة والإنشاء، وبسطت اللغة وخلصتها من التعقيد والرتابة[3]، وتبعا لذلك تطورت الكتابة والفنون النثرية في العصر الحديث بفضل ما أحدثته وسائل الطباعة المختلفة من تغيير في حياة الأمة العربية.

كما إن الصحافة نهضت بلغة الكتابة، وحررت النثر من السجع المتكلف، والإمعان في طلب المحسنات البديعية، وتناولت موضوعات شتى مما يمس الحياة العامة، ومشكلات الشعوب، لقد كانت للكتابة النثرية خصائص ومميزات فنية انطبعت بروح العصر الذي كان يعج بروح الكتابة والكتاب والصحف والجرائد، فتنوعت الموضوعات التي خاض غمارها الكثير من الكتاب الذين زاحموا الشعراء

[1]-ينظر عبد المنعم الخفاجي، دراسات الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1 ،1992ص17

[2]-ينظر محمد عبد الرحمان الشارخ، النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية، دار العلوم، الرياض، السعودية، ط،1993، ص5

[3]-ينظر حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل بيروت، لبنان، ط1 ،1986ص18

والعلماء، واتخذوا من الصحافة منبرا يذيع على الناس فكرا جديدا4. وأصبحت موضوعات الأدب العربي بعيدة كل البعد عن الموضوعات السابقة وجلها يدخل في تصوير واقع المجتمعات المرير، مما كون أدبا هادفا يتخلله البعد الفني والجمالي ''وبالفعل يمكن القول بأن الأدب والفن قد أصبحت لهما الآن وظائف اجتماعية لا يستطيعان أداءها إلا باختيار موضوعاتهما وتجابهها من واقع الحياة المعاصر في مجتمع كل منهما، فهذا هو ما يعطي التجارب الواقعية الاجتماعية أهميتها الخاصة في الأدب الحديث كله"[1].

فبواسطة الأنواع النثرية الجديدة، استطاع الأدب إيصال رسالة الشعوب وأوضاعها بطريقة فنية، فعالجت القصة والمسرحية وكذا المقالة قضايا على الصعيد الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي بأسلوب راق قريب من القارئ والمواطن العربي، وهو ما طبع الأدب والفن بطابع جديد يميزه عن العصور السابقة شكلا وموضوعا واهتماما وتلقيا.[2] وفي ظل هذا التغيير توسعت الآفاق وفسح المجال أمام الأدباء والكتاب، فراحوا يطلقون عنان أقلامهم للكتابة والتحرير والتراسل الإخواني والفني، فتداخلت الأنواع الأدبية النثرية في عالم الكتابة، وأحدث التغيير في شكل بعض الأنواع، وفي أساليبها، فقد تطورت الخطابة والرسالة وظهرا بأنماط مختلفة، وبزغت أنواع نثرية أخرى، كالقصة والرواية والمقالة والمسرحية. وتنوعت أساليب الكتابة، وانقسمت طوائف النثر العربي، فهنالك طائفة الاتجاه البديعي المعتدل، وهو أكثر ما ظهر عند الصحفيين مثل:الخشاب، وعبدا لله فكري والشدياق، إذ اهتم روادها بقضايا عصرهم، كما عند محمد المويلحي في(حديث عيسى بن هشام)،و(أسواق الذهب)لشوقي، أما الطائفة الثانية فهي طائفة المفرطين في التجديد، أمثال المنفلوطي، طه حسين، الرافعي، والعقاد، والمازني الذين أعرضوا عن القديم، واتجهوا إلى فكر حديث، فالاتجاه الصحفي أخرج الكتابة الصحفية من السجع والبديع إلى دائرة السير إلى أسلوب المعاني، وهناك منهم من اتجه إلى العامية. [3]

لقد أفرزت مختلف الاتجاهات السابقة طرائق مميزة في الكتابة النثرية، طبعت أسلوب الكاتب بخصائص محددة نجدها في معظم الأشكال النثرية التي صدرت عنه، فنجد أسلوبا واحدا في الكتابة في الرسالة

[1]-محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط 5 ،2006ص81-82

[2]-حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص6

[3]-ينظر مسعد بن عبد العطوي، الأدب العربي الحديث، الألوكة، تبوك، السعودية، ط1، 2009،ص136-137

والقصة والمقالة والمسرحية، بل في كثير من الأحيان يتواجد الجنس الأدبي الأول في باقي الأجناس الأدبية الأخرى، فنلفي الرسالة حاضرة في المقالة، وحاضرة في القصة، وكذلك في المسرحية.

ويحق لنا بعد ذلك أن نتساءل ما هي الأجناس الأدبية النثرية التي طبعت المشهد الأدبي الحديث، وما العلاقة البنيوية والموضوعية بينها؟

-أنواع الكتابة النثرية في الأدب العربي الحديث:

من الأنواع النثرية التي انتشرت في الأدب العربي الحديث:

1-القصة:

ارتبطت القصة ارتباطا وثيقا بالإنسان البدائي منذ الأزل، وفي التراث العربي القديم، حيث كان العرب يتداولونها مشافهة في أحاديثهم ومجالسهم، "فالقصة في الأدب العربي القديم لم تكن من جوهر الأدب كالشعر والخطابة والرسائل مثلا، بل كان يتخلى عنها كبار الأدباء لغيرهم من الوعاظ وكتاب السير والوصايا."[1]فلم تكن القصة تسرد لذاتها، أو بوصفها جنسا مستقلا، ولم تشتهر عندهم مثل الفنون التي كانت سائدة آنذاك، بل كانوا يعتبرونها مجرد حكي وخرافات وأساطير حسب اعتقادهم، حتى إنه لم يمحص لهذا الفن قواعده، و قد كانوا يوردونها في كثير من الأحيان شواهد قصيرة على وصاياهم و حكمهم و وعظهم، إذ كانت موجهة في الأساس للكبار و الراشدين. غير أننا مع ذلك يمكن أن نعتبر أن المقامة وقصص كليلة ودمنة وحكايا ألف ليلة وليلة، وغيرها بذور نشأة القصة في الأدب العربي القديم، ومع بزوغ عصر النهضة اتخذ هذا الفن شكلا محددا وقواعد صارمة وأسلوبا خاصا في الكتابة، "وقد انبثق فجر هذه النهضة يوالينا بأنواع القصص العربي في مترجمات، فرحبنا به الترحيب كله، وأقبلنا عليه نطعم منه، ثم حاولنا تقليدا ومحاكاة، حتى استقام لنا فيه طابع مستقل بعض الاستقلال، يجوز لنا أن نسميه لونا من الإبداع"[2]. فمر فن القصة بمرحلة التقليد تحت التأثير الغربي إلى أن تبلور وأصبح فنا مستقلا، ونوعا من الإبداع، الذي انخرط في كتابته الكثير من الأدباء. وبفضل حركة الترجمة والنقل، تم جلب العديد من القصص، "فنقل أسعد داغر(بعد العاصفة)لهنري بوردو ونقل أدي بإسحاق(الباريزية

[1]-محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط9، 2008 ، ص177

[2]-ميخائيل نعيمة وآخرون: في الأدب العربي الحديث، مجلة الأبحاث، بيروت، لبنان، ط1، 1954ص 20

الحسناء)للكونته داش، ونقل نجيب الحداد (الفرسان الثلاثة)لألكسندر دوماس"[1]، ثم توجه بعدها الأدباء الى كتابة القصة الفنية التي استوحت موضوعاتها من البيئة العربية، أو من الحياة العامة، فقد تشكلت صورتها أول ما تشكلت في قصة(زينب)لمحمد حسين هيكل، وفي قصص أدباء المهجر، وعلى رأسهم جبران، والريحاني، ونعيمة، وتوالت بعدها الأعمال القصصية أشكالا وألوانا، حتى بلغت تلك الذروة التي يزهو بها الأدب العربي الحديث، ويتقدم بها ليثبت له مكانة كريمة في معرض الأدب العالمي الرفيع.[2] وفعلا تمكن هذا الفن أن يثبت مكانته وصداه القوي في العصر الحديث داخل الأمة العربية وخارجها.

وتعد القصة بمفهومها الشامل فنا سرديا و"حكاية تتسلسل أحداثها في تتابع واطراد، وهذا التتابع يعني تطورا لأحداث يتضمنها الزمن."[3] فهي وقائع خاضعة للتسلسل الزمني يغلب عليها الطابع التخيلي.

2-القصة القصيرة:

تعد القصة القصيرة لونا من ألوان السرد القصصي وتندرج ضمنه، ويطلق عليها الأقصوصة لقصر طولها. و"إن قصر الشريط اللغوي وما يمكن أن يتركه هذا القصر على الطباعة، وعلى عالم القص هو ما يميز القصة القصيرة."[4]فرغم قصرها إلا أنها تركت بصمتها في تلك الفترة، كما تضمنت هي الأخرى بعض الرسائل في داخلها كشكل فني خادم لعملية القص، تستخدمها الشخصيات في التراسل والتّعبير عن همومها وأمالها وآلامها.

وقد شاعت القصة القصيرة في العصر الحديث، وقد ساعد على ذلك طبيعتها والعوامل الخارجية، أما من حيث طبيعتها فقد أغرت كثيرا من الشبان بكتابتها، بالرغم من أنها أصعب أنواع القص، ولذلك يخفق الكثير من المحاولين في كتابتها بفنياتها وأصولها المعهودة. وأما من حيث العوامل الخارجية فقد تميز العصر بالآلية والسرعة، وظهرت مئات الصحف والمجلات التي تحتاج كل يوم لمئات القصص. وهي بحكم الحيز والناحية الاقتصادية تفضل القصة القصيرة.[5]وبذلك أوجدت القصة القصيرة الحيز الأكبر من الاهتمام، وكانت تكتب بالعامية أحيانا وبكلمات بسيطة وسهلة، وتنشر في الصحف، مما جعلها

[1]-حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص19

[2]- ميخائيل نعيمة وآخرون: في الأدب العربي الحديث المرجع السابق، ص31

[3]-حسين محمود وآخرون: فنون النثر العربي الحديث، جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ط1 ،1995ص9

[4]-المرجع نفسه، ص12

[5]-عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط9، 2013ص114

تنتشر بسرعة فائقة، فكان لها الإقبال الوفير من طرف القراء، ولم تقتصر على الطبقة الخاصة فقط، بل وقد تجاوزت ذلك إلى عامة الناس.

يعالج فيها الكاتب جانبا من حياة، لا كل لجوانب. فهي تقتصر على سرد حادثة أو بضع حوادث تؤلف منها موضوعا مستقلا بشخصياته ومقوماته.[1]حيث تتناول موضوعا واحدا وحيزا زمنيا دون التفصيل في الأحداث، بيد أنها برزت قيمتها في معالجة قضايا شتى، وفرضت نفسها بإيصال رسائل توعوية.وتولدت القصة القصيرة من المقامة العربية، ومن القصة القصيرة الغربية، ونشأت مصاحبة للمقالة والرسائل الأدبية، بل زاحمت هذه الأشكال الفنية في كثير من الأحيان.

لقد كانت كثر المقالات في البداية تحمل روح الحكاية، وقد تشكلت في العالم العربي ممتزجة بروح الترجمة على يد محمود تيمور عام 1916-1925 وبعض اللبنانيين، ومن كتابها محمود طاهر، ونجيب محفوظ، ويحي حقي، ويوسف إدريس، وقد مالت إلى معالجة القضايا الاجتماعية، وهي تميل الى المباشرة.[2]فتشكل هذا الفن في مراحله الأولى بامتزاج أجناس أدبية، كالمقامة والمقالة، وكان عامل الترجمة حاضرا في بدايات نشأتها، وقد مال الأدباء إلى التأليف فيها، باعتبارها فنا يعالج قضايا مجتمعاتهم.

3-الرواية:

تعتبر الرواية فنا نثريا سرديا، وشكلا من أشكال الإبداع الفكري والفني الخيالي، حيث يتعمق فيه الروائي في الأحداث والتفاصيل، وهي أطول القصص. "ففيها يعالج المؤلف موضوعا كاملا أو أكثر، زاخرا بحياة تامة واحدة أو أكثر، فلا يفرغ القارئ منها إلا وقد ألم بحياة البطل، أو الابطال في مراحلها المختلفة. وميدان الرواية فسيح أمام القاص يستطيع فيه أن يكشف الستار عن حياة أبطاله، ويجلو الحوادث مهما تستغرق من الوقت."[3]فيتوسع فيها الكاتب ليلم بكل الجوانب، والتفاصيل الدقيقة في شخصيات الرواية وأحداثها، وموضوعها الواسع، ليدخل القارئ في ثنايا الرواية.

نشأت الرواية العربية في العصر الحديث، فكانت في بادئ الامر مرتبطة بالترجمة والتعريب ثم توجه الأدباء العرب إلى التجريب والتأليف والإبداع الفني، فاكتملت كلون نثري ساد في ذلك العصر.

---

[1]-ينظر محمود تيمور، فن القصص، دار الهلال، مصر، ط2، 1948ص40

[2]-ينظر مسعد بن عيد العطوي، الأدب العربي الحديث، ص144

[3]- محمود تيمور، فن القصص المرجع السابق، ص41

ونذكر" أول رواية عربية هي (زينب)عام 1914لمحمد حسين هيكل. ثم جاء بعده محمود تيمور وأخوه أحمد تيمور. وكذلك طه حسين في (الحب الضائع). و(دعاء الكروان) ، و(شجرة البؤس) .[1] وانتشرت بعد ذلك العديد من الروايات أبدع الكتاب فيها. وقد أسهم كل منهم في دفع عجلة هذا الفن. لكن النهضة الحقيقية للرواية، كانت على يد جيل ممن تخرجوا في الجامعات المصرية خاصة. فنالوا حظا من هذه الثقافة مكنهم من بذل جهود كبيرة محمودة في هذا الميدان.

ولعل أبرز من تفوق في هذا المجال: علي أحمد باكثير، عبد الحميد جودة السحار، يوسف السباعي، يوسف إدريس، وقد نبغ في تلك الفترة نجيب محفوظ، وشاع صيته في العالم أديبا وكاتبا وفنانا، مما جعله ينتزع جائزة نوبل للآداب سنة 1988، لأنه أثرى المكتبة العربية بإنتاجه الغزير الذي تجاوز الخمسين عملًا روائيًا وقصصيًا ترجم إلى معظم لغات العالم، بل تحول كثير منها إلى أعمال سينمائية.والملاحظ أن رواياته تضمنت العديد من الرسائل في ثناياها، وتنوعت مضامينها وأهدافها.

4-المقالة:

مع تطور الأدب العربي الحديث، وتأثره بالغرب والاحتكاك بهم، مال الأدباء إلى كتابة المقالة العربية والتي تأثرت في بدايتها بالمقالة الغربية شكلا ومضمونا، وتعرف المقالة على أنها "قطعة إنشائية، ذات طول معتدل، تدور حول موضوع معين أو حول جزء منه، تكتب بطريقة سهلة سريعة، تظهر فيها أحاسيس الكاتب ومبادئه الفكرية. وتخضع لبراعة الكاتب وقدرته على التأثير في القارئ وإعطاء عمق لهذه الكتابة، والبعد بها عن السطحية، فهي بذلك مرنة يستطيع كاتبها تشكيلها كيف يشاء[1] وهذا ما يميز فن المقالة عن الكتابات النثرية الأخرى، وذلك بما يظهره الكاتب من أفكاره وإيديولوجيته بطريقة بسيطة وتبرز إبداعه فيها، بحيث تمنحه الحرية في كتابتها.

وارتبط فن المقالة بظهور الصحافة والطباعة. ونشأت في حضن الصحافة، واستمدت منها نسمة الحياة منذ ظهورها، وخدمت أغراضها المختلفة، وحملت إلى قرائها آراء محرريها وكتابها[2]. فاستقر هذا الفن في أحضان الصحافة، فكانت تعرض موضوعاتها في جميع الميادين، فهنالك مقال سياسي،

[1]-ينظر مسعد بن عيد العطوي، في الأدب العربي الحديث، ص137

[2]-ينظر محمد يوسف نجم، فن المقالة، الجامعة الامريكية، بيروت-لبنان، ط1 ،1997 ص53

اجتماعي، نقدي، وآخر أدبي. وعرفت عناية القراء بالاطلاع لما تقدمه من آراء كتابها بنوعيها من حيث الأسلوب والمضمون، فكانت ذاتية أو موضوعية.

صدرت العديد من المقالات الصحفية، بيد أنها لم تكن بالجودة والإمتاع، كما في المقالة الأدبية التي اتجهت بأسلوبها الأدبي الذي يتميز بسمات فنية، وقد ظهر هذا الأسلوب الجيد بأناقته وطرافته على يد شيخ أزهري أديب هو مصطفى لطفي المنفلوطي في مقالاته التي ابتدأ يكتبها للمؤيد منذ سنة 1907 تحت عنوان النظرات.[1]فبرز هذا النوع من المقالة، وكان له الترحيب القوي من قبل القراء، وبلغت أوجها وهدفها المنشود في تحسين صورة المقالة.

5-المسرحية:

مما توصل اليه إنتاج العرب في العصر الحديث، وما خلفته النهضة من قوالب وفنون نثرية جديدة، متمكنة من إثراء المكتبة الأدبية العربية، هو فن المسرحية الذي تعود أصوله إلى الغرب، "فإنه من الثابت أن فن التمثيل وفن الأدب المسرحي قد أخذه العرب عن أوروبا بعد النهضة العربية، التي ابتدأت في القرن الماضي، وكان رائد هذا الفن في عالمنا العربي هو (مارون النقاش) الذي ألف أول مسرحية عربية سنة 1848 ببيروت"[2]. ومن هنا كانت انطلاقة فن المسرحية في الأدب العربي، واتخذ هذا الفن سبيله في الانتشار. "فالمسرحية في جوهرها أحداث متتابعة منظمة خارجية، مترابطة ترابطا وثيقا مع مسلك الشخصيات، بحيث تبرر هذا المسلك تبريرا مقنعا، وأما الوصف فيستعان فيه بمناظر المسرح ويستنتج من خلال الحوار[3]. فيحدث ذلك التناسق في سيرورة هيكلة المسرحية، الذي يقوم على أدوار الشخصيات والأحداث.ويمثل الحوار رسالة تضامنية يتضح مفهومها مع ترابط أجزاء المسرحية وتلاحمها فتتحور الى أن تصبح رسالة ظاهرة مكتملة المغزى.

وقد وجدت في الأدب الشعبي العربي عناصر تمثيل بدائية فيما يسمى (خيال الظل)،وتمثيليات خيال الظل تعرف باسم (البابات)مفردها (بابة)،يقدمها صاحبها بواسطة عرائس من الورق المقوى أو الجلد ذات ثقوب، ومفصلات ليسهل تحريكها، وتتحرك بعصا في يد الذي يقدم (البابة)، على حسب الحوار

[1]-ينظر عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر،2007، ص169

[2]-محمد مندور الأدب وفنونه، ص67

[3]-غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص134

الذي ينطق به صاحبها، وقريب من (خيال الظل) نوع آخر راج في مصر والبلاد العربية، بتأثير القبائل التركية، مما كان يطلق عليه عرائس (القره كوز)[1].وتمثل نوعا من أنواع الفنون الشعبية التي كانت رائجة قديما، فهي عبارة عن خيال يترك أثرا على المتفرجين، من طريقة الأداء والفكرة، إلا ان تلك الفنون الشعبية لم تكن بتلك القيمة الفنية الأدبية التي عرفها فن المسرحية بعد النهضة.

6-فن الترسل:

تعد كتابة الرسائل نوعا من أنواع الكتابات الأدبية الفنية التي ظهرت وتشكلت قديما، حيث ارتبط تطورها بتطور العصور، وأولى الأدباء العرب لها العناية منذ القديم، فهي من الفنون النثرية التراثية العريقة، التي نبغ في كتابتها العديد من الكتاب العرب، إذ كانت الوسيلة الأمثل للتواصل وللتعبير عن حاجات الإنسان وتفاعله مع الآخر، لذلك وضعت لها دواوين وكتب لقيمتها التي بلغت الذروة بين الفنون القديمة والحديثة.

وعرفت الرسالة على أنها كلام مباشر ومكتوب يوجهه المرسل إلى المرسل إليه لغرض معين أو حاجة مقصودة. تنوعت موضوعات الرسالة وأنواعها باختلاف الجهة التي توجه لها الرسالة، فهناك الرسائل الديوانية وتسمى أيضا بالإدارية، وهي الرسائل التي كانت تسمى في النظامات الحكومية القديمة بالديوان وهي أشهر الرسائل، فهي خطابات إدارية تركز على دقة المعاني، فقد كان لها تقاليدها، وظهرت طائفة من الكتاب الذين شكلوا طبقة خاصة عرفوا بطبقة الكتاب، وهناك أيضا الرسائل الخاصة أو الاخوانية، وهي التي تدور بين الإخوان، والأقارب والأصدقاء وأفراد المجتمع، فقد تناولت موضوعات متعددة تتعلق بالمناسبات الاجتماعية والعلاقات الشخصية[2].

"وقد ظهر في العصر الحديث نمط متميز من الرسائل تمثل في الرسائل الأدبية المتبادلة بين الأدباء حيث يتطارحون الآراء حول القضايا الأدبية والنقدية أو يتبادلها الكتاب والكاتبات، وغيرهن ويكون محورها المشاعر الشخصية الحميمية"[3].

[1]-ينظر غنيمي هلال: الأدب المقارن ، ص141-142

[2]-ينظر محمد صلاح الشنطي، الأدب العربي الحديث (مدارسه وفنونه وتطوره وقضاياه ونماذج منه)،دار الاندلس للنشر والتوزيع،حائل-السعودية،ط1 ،1992ص253

[3]- محمد صلاح الشنطي، الأدب العربي الحديث ، ص 253

يكتب الأدباء الرسالة للتعبير عن عاطفة أو لشرح تجربة معينة تكتب بصياغة أدبية راقية، ويعتمد فيها الأديب على لغة أدبية مجازية ممتزجة بأسلوب راق تتخللها الصور والمعاني البليغة، وقد كتبت آلاف الرسائل من الأدباء، ومن أشهر الرسائل التي كتبت في تلك الفترة، رسائل جبران خليل جبران لمي زيادة، رسائل مصطفى صادق الرافعي لتلميذه محمود أبيرية، ورسائل عباس محمود العقاد لمي زيادة، رسائل شوقي جلول إلى أبيه، رسائل محمود درويش الشعرية للشاعر سميح القاسم...وغيرها

لقد ورثنا في العصر الحديث عددا ضخما من هذه الرسائل التي دبجتها أقلام الأدباء على مر العصور، ووجدنا أن بعض هذه الرسائل تطول حتى تبلغ حد المقال، كرسالة الشطرنج لعبد الحميد الكاتب، ودفاع عن البخل لسهل بن هارون، ومن أشهر المدارس التي عنيت بالرسائل مدرسة ابن العميد، وهي مدرسة النثر الشعري، وكان لها أثر بين في أدبنا الحديث[1]. فكانت أقرب الى المقالات الذاتية التي تعبر عن الأحاسيس والتجارب الخاصة، حتى أنها تميزت بطول المقالة.

[1]-ينظر عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر،ط،2007،ص99

الفصل الأول

أولا: الدلالة المعجمية والاصطلاحية لفن الترسل:

1-الترسل: لغة:

لابد أن نتطرق للدلالة اللغوية لكلمة الترسل قبل الولوج الى معناها الاصطلاحي، حتى نتبين أهم المعاني العامة والمشتركة للفظ الترسل، ولمعرفة اشتقاق الكلمة ودلالتها نعود للجذر الأول للكلمة:

الترسل مصدر مزيد من كلمة "رسل" فالراء والسين و اللام (ر،س،ل)جذر يتفرع من ألفاظ يتبعها معان ودلالات وعند الوقوف على معاجم مختلفة تبين لنا ما يلي:

"رسل: الرسل، القطيع من كل شيء أو الجمع أرسال، والرسل، الإبل، والرسل: القطيع بعد قطيع وأرسلوا إبلهم إلى الماء إرسالا، أي قطعا، وإذا أورد الرجل إبله متقطعة، قيل أوردها إرسالا".[1]يشير المعنى اللغوي إلى الجزء من الكل الذي يقطع من غيره للدلالة على شيء ما، كما يدل على الإطلاق دون قيد أو شرط أو تحديد.

" و(رسل) البعير رسل او رسالة كان رسلا والشعر: رسلا كان طويلا مسترسلا، (أرسل)الشيء أطلقه وأهمله، يقال أرسلت الطائر من يدي، ويقال:أرسل الكلام أطلقه عن غير تقييد. والرسول: بعثه برسالة، وعليه :سلطه، وفي التنزيل العزيز : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾[2]

ويقال: أرسل الكلاب على الصيد.

(راسله) في عمله : تابعه فيه. ويقال : راسله الغناء وأرسل إليه رسولا أو رسالة.

(رسل) في القراءة : رتل وحقق بلا عجلة وفي الحديث : كان في كلامه ترسيل.

(تراسل) القوم : أرسل بعضهم إلى بعض رسولا أو رسالة"[3].

[1]- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط4، 1444هـ، ج11، ص 281.

[2] مريم الآية 83

[3]ابن منظور، المرجع نفسه، ص 282

والترسل يعني أيضا التمهل والتأني، "رسل: تمهل وترفق، يقال: ترسل في كلامه وقراءته ومشيه، والكاتب أتى بكلامه مرسلا من غير سجع، والرسالة ما يرسل: والخطاب كتاب يشتمل على قليل من المسائل تكون في موضوع واحد..."[1]

وهي كلها دلالات تضمنت معان عديدة تندرج ضمن الكتابة النثرية.

ويتوسع صاحب معجم اللغة العربية المعاصرة في ذكر السياقات المختلفة للفعل ترسل:

"- ترسَّلَ، ترسَّلَ في يترسَّل، ترسُّلاً، فهو مُترسِّل، والمفعول مترسَّلٌ فيه.

-ترسَّل الكاتبُ :أتى بكلامه من غير سجع ولا محسِّنات.

-ترسَّل القارئُ في قراءته :حقَّقها بلا عجلة، تمهَّل فيها "ترسّل الباحث في دراسة الموضوع متوخيًا الدِّقة."

-ترسَّل في القعود :تربَّع وأرخى ثيابه على رجليه وحوله"[2]

2-الترسل: اصطلاحا:

أما في الاصطلاح فقد تضاربت آراء النقاد في تحديده في ثلاثة توجهات:

-الأول عده مرادفا للكتابة النثرية عموما.

- الثاني اعتبره فنا أدبيا متميزا بموضوعه وغرضه ضمن فنون النثر العربي القديم.

- الثالث عدّه طريقة في الكتابة النثرية، لها خصائص أسلوبية مميزة.

أما الاتجاه الأول فيبررون موقفهم على أن الكتابة تنمو في مناخ استقرار الأمة، وانتظام أمور الدولة، وازدهار حقل الثقافة، فتجيء الرغبة في الترسل لتأمين الاتصال بمختلف القطاعات، وتعبيرا عن الخواطر والتأملات الذاتية في المجتمع والكون، مما بدا طبيعيا أن يندرج الأدب العربي زمنيا بنشأة الشعر، فالخطابة، فالكتابة[3].

---

[1]-المعجم الوسيط: دار انتشارات ناصر، إيران، ج1، ط2.

[2]أحمد مختار و آخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ط1،

[3] ينظر علي شلق: نقاط التطور في الأدب العربي: دراسة تحليلية شمولية للمواقف الرئيسية في مجرى تاريخ الأدب العربي مع مقارنات بمواقف منحازة في الأدب العالمي، دار القلم، 1975، ص 65

وهذا ما تحدّث عنه المرزوقي (ت 421هـ) في كتابه شرح ديوان الحماسة في مقام المفاضلة بين الشعر والنثر. وفي معرض حديثه عن قلة المترسلين، وفي ذلك يقول: " إن مبنى الترسل على أن يكون واضح المنهج سهل المعنى متسع الباع، واسع النطاق، تدل لوائحه على حقائقه وظواهره على بواطنه، إذ كان مورده على أسماع مفترقه من خاصي وعامي وأفهام مختلفة من ذكي وغبي فمتى كان متسهلا متساويا ومتسلسلا متجاوبا، تساوت الآذان في تلقيه، والأفهام في درايته، والألسن في روايته، فيسمح شارده إذا استدعى، ويتعجل وافده إذا استدني، وإن تطاول أنفاس فصوله وتباعد أطراف حزونه وسهوله."[1]

ثم يقابل هذه الصناعة بصناعة الشعر فيقول: "ومبنى الشعر على العكس من جميع ذلك؛ لأنه مبنِيٌّ على أوزانٍ مقدرة، وحدودٍ مقسمة، وقوافٍ يُساق ما قبلها إليها مهيأة، وعلى أن يقوم كلُّ بيتٍ بنفسه غيرَ مفتقرٍ إلى غيره، إلا أن يكون مضمَّنًا بأخيه، وهو عيب فيه. فلما كان مداه لا يمتدُّ بأكثرَ من مقدارِ عَرُوضِه وضَرْبِه، وكلاهما قليل، وكان الشاعرُ يعمل قصيدتَه بيتًا بيتًا، وكلُّ بيتٍ يتقاضاه بالاتحاد، وجب أن يكون الفضلُ في أكثر الأحوال في المعنى، وأن يبلغ الشاعرُ في تلطيفه والأخذ من حواشيه حتى يتسعَ له اللفظ، فيؤديَه على غموضه وخفائه –حدًّا يصير المدركُ له والمشرفُ عليه كالفائز بذخيرةٍ اغتنمها، والظافرِ بدفينةٍ استخرجها. وفي مثل ذلك يحسن امِّحاء الأثر، وتباطؤ المطلوب على المنتظر. فكلُّ ما يُحمد في الترسل ويُختار يُذَمُّ في الشعر ويُرفض"[2].

وكان فن الترسل يعرف قديما بالإنشاء، مثلما عرفه القلقشندي (ت 821هـ) بأنه "كتابة الإنشاء فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة الى تأليف الكلام وترتيب المعاني: من المكاتبات والولايات والمسامحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات والهدن والأمانات والأيمان وما في معنى ذلك ككتابة الحكم ونحوها"[3]

فالترسل يمثل جزءا من الكتابة الإنشائية، فهو صنعة قد جمعت بين بلاغة المتكلم ودقة المعاني، وكتابة تنوعت أشكالها واستخداماتها وفق الغرض والجمهور المستهدف وما يخدمه من إصلاحات وعهود ومواثيق وغيرها. وكتابة تهدف إلى تكيف اللغة والأسلوب مع الغرض والمستلم.

[1]–المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط1، 1991، ج1، ص4–5

[2]المصدر نفسه: ج 3، ص521

[3]–القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة–مصر،دط،1922، ج1، ص54

فعلى المترسل اتباع منهج يسهل على المتلقي من فهم مقاصده، تجمع رسائله كل هاته الخصائص من سهولة المعاني، والألفاظ العذبة، وملاءمة أسماع متلقيه بفوارقهم وإيجاز ما يجب إيجازه وإطناب ما يجب إطنابه وإيطاله بمقتضى الأحوال لتتناسب كتابة الرسائل مع مقامات الناس وأحوالهم.

والذين يرونه فناً أدبيا متميزا يقرنونه بكتابة الرسائل، كما في كتاب (البرهان في وجوه البيان) لابن وهب (ت 813هـ)، إذ يقول: "وليس يخلو المنثور من أن يكون خطابة أو ترسلا أو احتجاجا أو حديثا. ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه.

فالخطب تستعمل في إصلاح ذات البين، وإطفاء نار الحرب، وحمالة الدماء، والتشييد للملك، والتأكيد للعهد، وفي عقد الإملاك، وفي الدعاء إلى الله –عز وجل –، وفي الإشادة بالمناقب، ولكل ما أريد ذكره ونشره وشهرته في الناس.

والترسل في أنواع من هذا، وفي الاحتجاج على من زاغ من أهل الأطراف، وذكر الفتوح، وفي الاعتذارات والمعاتبات، وغير ذلك مما يجري في الرسائل والمكاتبات"[1]

والتَّرَسلُ من تَرسَّلت أترسل ترسلاً ، ومن هنا ننظر في عملية الترسل فنجد ثلاثة أطراف أساسية: المترسل، الرسالة، المتلقي، ظروف التخاطب، قناة الترسل.

والترسل بهذا المفهوم " مصطلح أدبي يقوم على ترجمة ما يدور في العقل من كلام حول مواضيع معينة على شكل رسائل، قد تكون رسمية أو إخوانية أو أدبية أو سياسية تصدر من كاتب يحاول أن يبسط من خلالها ما يريد على شكل أفكار متتابعة يترجمها لكلمات يؤلف بينها، لتكون جملا وفقرات بأسلوب فيه سهولة ووضوح من المرسل إلى المرسل إليه"[2].

وتعرف الرسالة على أنها "فن قائم على خطاب يوجهه شخص الى شخص آخر، أو يوجهه مقام رسمي إلى مقام رسمي آخر، أو ما يكتبه المرء إلى صديق أو أهل له، وتكون موجزة محدودة الموضوع سهلة الأسلوب خالية من التأنق اللفظي غالبا."[3]

وبذلك يبدو الترسل إبداعا فكريا عقليا، يتناول قضايا ومواضيع عديدة.

---

[1] ابن وهب الكاتب: ص 151

[2] محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ،1999 ج1،ص478

[3] المرجع نفسه: ص 478

تتضمن الرسالة العناصر الآتية:

-المرسل: الكاتب أو الأديب أو منشئ الرسالة.

-الرسالة: المضمون أو الموضوع أو القضية.

-المرسل إليه: المتلقي ويختلف حسب نوع الرسالة.

-مقام التراسل: مؤشرات مكانية وزمانية ومقالية.

-قناة التراسل: الرسالة المكتوبة أو الشخص حامل الرسالة شفويا.

أما الذين تعتبرونه مظهرا من مظاهر تطور النثر الفني في الأدب العربي القديم فينطلقون من أن تأليف نثر مرسل يتحاشى فيه صاحبه استعمال الأسجاع هو خلاف النثر المسجّع الذي تنتهي عباراته بكلمات متقاربة الروي، اشبه ما تكون بالقافية في آخر البيت، ومع ذلك فالنثر المرسل يقتضي التأنق، وتنخّل الألفاظ[1]، ويؤسسون على ذلك تحقيبا لمراحل تطور النثر الفني تعتمد خصائصه الأسلوبية معيارا:

ففي العصر الجاهلي تنوع النثر بين نثر مرسل، ونثر مسجّع، "ويغلب النثر المرسل في خطب الصلح والمعاهدات، وأما النثر المسجّع ففي المفاخرات والمنافرات، وفي نثر الكهان، بل إنه التزم في هذا الأخير التزامًا فكان الكهان لا يقولون إلا سجعًا ولذلك أطلق على نثرهم (سجع الكهان) ويظهر أن الجاهليين كانوا يعجبون بالنثر المسجّع، حتى إنه كان يجيء أحيانا في الجملة الواحدة، مثل "إذا فزع الفؤاد ذهب الرقاد "و "ليس من العدل سرعة العذل "و "رب قول أنفذ من صول "، ولكنه على العموم كان سجعًا لطيفًا وجميلًا في موقعه مما يوحي بأنه طبيعي لا أثر للصنعة فيه، إلا في سجع الكهان، فالتكلف واضح فيه"[2].

وفي العصر الإسلامي ظهر النثر المسجّع فاترا محدود النطاق، فلم يكن يستعمله إلا نفر قليل من الدعاة، ولا تجد له من وراء ذلك أثراً إلا السجعة أو السجعتين يضيفها مشاهير الكتاب إلى جملهم المرسلة[3].

وفي بداية العصر العباسي كان الأسلوب السائد أسلوب (الترسل الطبيعي) وإمامه عبد الله بن المقفع (143هـ/754م)، وعماده الإيجاز و الإرسال، فلا سجع و لا ازدواج، إلا ما جاء عفوا، و (الترسل

[1] ينظر عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984، ص 277

[2] علي الجندي: في تاريخ الأدب الجاهلي، مكتبة دار التراث، ط1، 1994، ص 273

[3] ينظر أحمد حسن الزيات: اللغة العربية، مجلة الرسالة، ع 641، ص 14

الاصطناعي) الذي خلّفه عبد الحميد بن يحيى (132هـ/750م)، والذي كان له شرف السبق إلى وضع قواعد الكتابة حتى لقب بالكاتب. ثم ما لبثت الأساليب أن مالت إلى التنويع والتفريغ والتحليل والتعليل على يد أبي حنيفة الدينوري (282هـ/895م)، وطبقته من الأدباء في القرن الثالث[1].

أما في القرن الرابع فقد ظهرت (الصنعة البديعية المطبوعة) على يد ابن العميد (360هـ/970م)، و كانت كتاباته و رسائله نموذجا للتروي في انتقاء العبارة، و الاحتفاء بجودة السبك و تصنيع الصياغة، أتى أبو حيان التوحيدي (400هـ/1010م)، الذي لقّب بأديب الفلاسفة و فيلسوف الأدباء، ثم ما لبثت أن أثقلت هذه الصنعة بالمحسنات التي أسرف فيها من جاء بعدهما، ممن انتقلوا بالترسل من تصنيع إلى تصنّع و تعقيد، فتقيدوا بالسجع، ووظفوا أساليب البديع إلى حد لزوم ما لا يلزم يتخلى كذلك على الخصوص في كتابات القاضي الفاضل (596هـ/1199م)[2].

وعرفه الكاتب جرجي زيدان بأنه:"إنشاء المراسلات على الخصوص. ويريدون به معرفة احوال الكاتب والمكتوب اليه من حيث الأدب والمصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة، والكاتب في المواضيع العلمية لايزال على أسلوب المؤلفين المتناسق المرسل حتى يقتضي الموضوع مخاطبة القارئ فينتقل الى أسلوب الترسل بالتسجيع أو نحوه حسب العصور، فإذا فرغ من الخطاب عاد إلى الإنشاء المرسل البسيط."[3]

ففي إنشاء الكتب بمواضيعها كانت علمية أو تاريخية، التي تقتضي حقائق ثابتة، ينتقل فيها الكاتب من خطاب يحاور فيه الطرف الثاني أي القارئ، بتقديم معلومات مباشرة الى التحرير المرسل بأسلوب التنميق، فبذلك يحضر فيه فنية الترسل والخطابة معا.

و"الرسالة هي الكلام الذي أرسل إلى الغير، وخصصت في اصطلاح العلماء بالكلام المشتمل على قواعد علمية."[4]

وبهذا تشير الرسالة إلى الكلام المرسل أو المكتوب الذي يتم إرساله إلى الآخرين لبلوغ التواصل وتبادل المعارف، فهي تشتمل على أسس علمية تتمثل في شكل الرسالة وخصائصها وموضوعاتها المتنوعة. ويرى الكاتب عبد العزيز عتيق أن "الرسالة قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لمشيئة الكاتب

[1] ينظر شوقي ضيف: الفن و مذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، 1945، ص 14

[2] المرجع نفسه، ص 15

[3] -جرجي زيدان،تاريخ أداب اللغة العربية،دار الهلال،القاهرة-مصر،دط،دت،ج2،ص690

[4] -حسني عبد الجليل يوسف، الادب الجاهلي(قضايا وفنون ونصوص)،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،ط1،2007،ص461

غرضه وأسلوبه، وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سببا، وقد يكون هذا الشعر من نظمه أو مما يستشهد به من غيره، وتكون كتابتها بعبارة بليغة وأسلوب حسن رشيق وألفاظ منتقاة ومعان طريفة."[1]

فالرسالة في الواقع تعتبر فنا من فنون النثر، يعبر فيه الكاتب عن أفكاره ومشاعره بشكل يتناغم مع الغرض المقصود وأسلوبه الشخصي، قد تحتوي الرسالة على عناصر شعرية تزيدها جمالا وعمقا، سواء كانت من نظم الكاتب او من مصادر أخرى، وتكمن جمالية الرسالة في استخدام العبارات البليغة، والأسلوب الرشيق، واختيار الكلمات بعناية لتعبر عن المعاني بشكل طريف ومؤثر.

إلا أن اختلاف وجهات النظر في تحديد المقصود بالترسل لا يلغي حقيقة وجوده، و إذا كان أساس تصنيف الخطاب هو الوظيفة التعبيرية التي يؤديها، فإن من أشكال التعبير ما ليس سردا و لا وصفا ولا حجاجا، و إنما هو شكل يؤدي وظيفة أخرى غير تلك التي تؤديها هذه الأشكال، فالحاجة إلى التعبير هي التي قادت إلى وجود فنون أدبية قديمة كالرسالة، و هي التي أفضت في العصر الحديث، استجابة لتطور الإنسان العربي و حاجاته إلى التعبير إلى وجود عدة فنون أدبية كالمقالة الأدبية و الخاطرة اليومية، يتروى كاتبوها في إنشائها، و يبثون تأملاتهم و أفكارهم و رؤاهم في الحياة و الكون، و يمتاز أسلوبهم فيها بخصائص تجعلها ضربا من ضروب النثر الفني في الحديث كما في القديم. ولعل كتابات بعض أدباء المهجر كجبران خليل جبران، وبعض المشارقة أمثال أمين الريحاني، وأحمد حسن الزيات، ومحمود درويش، وسميح القاسم، تعد نماذج للترسل، سواء باعتباره طريقة للكتابة النثرية متميزة عن النثر العادي، أو خطابا يهيمن على فنون أدبية فيها تفنن وإبداع.

ثانيا: نشأة وتطور فن الترسل:

لفن الترسل جذور عميقة ومرتبة ومرموقة في تاريخ الادب العربي، حيث كان له الشأن العظيم في صدارته منذ القديم، وتأسيسه كان لحاجة العرب له، ولعلاقاتهم وإنجازاتهم الخالدة التي كانت محورا مهما في قيام حضاراتهم. وهذا التطور الذي دونه التاريخ في تشكيل هذا الفن فسح المجال للعديد من الكتاب لدراسته. واجتمعت كل الآراء على أن كل عصر ظهر فيه فن الترسل ببصمته ومميزاته على حسب قضايا كل عصر وتغيراته.

ويمكننا تتبع نشأة هذا الفن ومراحل تطوره وتشكيله عبر العصور التاريخية التي مر بها الادب العربي.

[1]–عبد العزيز عتيق، الادب العربي في الاندلس، دار النهضة العربية،بيروت–لبنان،دط،1976،ص448

1-في العصر الجاهلي:

لقد كان اهتمام العرب قديما بالشعر أكثر من النثر، لذلك كان حيز الكتابة النثرية عندهم ضيقا، فبالنسبة لهم من كان يجيد الشعر بالطبيعة قد جاد النثر، وكانت منزلة الشاعر آنذاك تضاهي مقام الوزير وحكام البلاط، وكانت عبارة عن مهنة لكسب المال. وهو الأمر الذي أدى إلى تأخر الكتابات النثرية وضعفها وندرة الأعمال النثرية لقلة حافظيها، فكان بالنسبة لهم أن الشعر أسهل في الحفظ من النثر. وهاته الأسباب التي جعلت العديد منهم يميلون لكتابة الشعر. ومعظم موضوعاته كانت عن التفاخر والتباهي بالقوة والفروسية والتنافس فيما بينهم لمن كان يجيد الشعر، ويتلذذ في قوله، وتغلغل الشعر في مسامع العرب، وهو ما عرفت به العرب قديما وما يميزها عن باقي الشعوب والقبائل.

ومما لا نغفل عنه أن الأمر الذي ساعد في نشأة الكتابات النثرية موقع شبه الجزيرة العربية التي كانت تمثل مركزا استراتيجيا تجاريا. وكانت التجارة العامل الأول الذي أظهر الكتابة في بلاد العرب، ولذلك نجدها منتشرة حيث توجد التجارة. وكذلك كان التجار محتاجين للكتابة في العهود، وكتب الأمان بينهم وبين القبائل التي تمر تجارتهم بها سواء كانت هذه العهود تجارية فحسب، أو تجارية وسياسية معا، فقد عرف العرب الأمرين جميعا، ولا يقتصر الأمر على هذه المعاملات والعهود الداخلية، بل هناك العهود الخارجية التي تعقد بينهم وبين الرومان أو الفرس أو اليمنيين او الحبشيين، وغيرهم لجلب التجارة.[1]

"أما الكتابة بمعنى إنشاء الكتب والرسائل، فهي لازمة لكل أمة متحضرة، ذات دولة منظمة، ودواوين متعددة، وصناعات متنوعة، وتجارة رائجة، وزراعة نامية، وفنون مختلفة؛ وقد كان بعض ذلك موفورا في الممالك التابعة جنوبا، وعن ممالك المناذرة والغساسنة شمالا. وإنما لم يصل إلينا شيء من رسائل تلك الأمم، ولا من كتب فنونها ودينها غير ما عثر عليه في بقايا خرائبهم وسدود مياههم وبعض دفائن الحجار والقبور"[2]، إلا أن هاته الكتابات النثرية لم تبلغ حد النثر الفني الذي يجاوز النثر العادي في جماليته، وإنما كانت وسيلة للتواصل التجاري والسياسي.

"ولا نستطيع أن ننسى ما فعله الرسول -صلى الله عليه وسلم-مع أسرى بدر لتعليمهم القراءة والكتابة للمسلمين، ومعنى هذا أن النثر كان موجودا. والأمثلة على ذلك كثيرة، منها الخطب التي كانت تقال

[1]-ينظر حسين نصار،نشأة الكتابة الفنية في الادب العربي،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة-مصر،ط2002،1،ص26

[2]-أحمد الاسكندري، مصطفى عنانى: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، مطبعة المعارف،الفجالة-مصر،ط1925،5،ص37

عند كسرى أو في سوق عكاظ أو في عقود الزواج أو عند تعبئة الجيش للحرب"، فقد عرفت الخطب والأمثال والوصايا وسجع الكهان انتشارا كبيرا في ذلك العصر، أما كتابة الرسائل فلم يبلغنا منها إلا قليلا، ومن أمثلة النثر المرسل ما قاله أبو جبيل قيس بن خفاف البرجمي لحاتم في دماء حملها: "إني حملت دماء عولت فيها على مالي وآمالي، فأما مالي فقدمته؛ وكنت أكبر أمالي، فإن تحملتها فكم من حق قضيت وهم كفيت؛ وإن حال دون ذلك حائل لم أذم يومك، ولم أيأس من غدك"[1].

فكانت جل الكتابات النثرية في العصر الجاهلي قصيرة موجزة، ألفاظها واضحة مفهومة، يعتمدون على الصور المجازية بكثرة، ويبتعدون عن التنميق وزخرفة الألفاظ.

كانت معظم رسائل ذلك العصر تبدأ بـ "باسمك اللهم، ومن فلان الى فلان، أما بعد، ولم تقم لهم دولة إلا بقيام الإسلام فهو الذي أفشى فيهم الخط والكتابة."[2]

2-في العصر الإسلامي:

تميزت هاته المرحلة بالطبيعة التأهيلية للكتابة، ومن هنا كانت الانطلاقة لمرحلة التجديد وتمهيدا لما آلت اليه الكتابة بعد أن كانت مهمشة، وإخراج العرب من الظلمات إلى النور بفضل الإسلام، وما جاء به من ضوابط وتنظيم لحياتهم، حيث قام بتوسيع آفاق العلوم والفنون، مما انعكس إيجابيا على ازدهار الحضارة العربية. وأصبح فن الترسل غايته الأولى التأثير وسيلة لنشر الدين الإسلامي في بقاع العالم[2].

"وقد أولى الإسلام الكتابة والقراءة عناية كبيرة، لما لها من أهمية في تحقيق غاياته السامية وأهدافه، فكانت أول كلمة أنزلت على النبي- صلى الله عليه وسلم-اقرأ ،وتكرر فيه بعد ذلك ذكر القلم والقرطاس والصحف والكتابة والكاتبين مرات كثيرة"[3] و على إثر ذلك اتصلت الكتابة اتصالا وثيقا بنشر الإسلام وبلوغ رسالته، لاسيما للشعوب المجاورة، فقد دعا الرسول- صلى الله عليه وسلم-إلى ضرورة تعليم المسلمين الكتابة والقراءة، والحرص على تعليمهم الإسلام، فقد كانت الطريقة الأمثل لإبلاغهم دعوة الإسلام داخل وخارج الجزيرة العربية. ولقد تم تأسيس ديوان خاص للكتابة تم تسميته بديوان الرسائل.

---

[1] الحصري القيرواني: زهر الآداب و ثمر الألباب، دار الجيل، بيروت،ج 4، ص 987

[2] - ينظر محمد خير شيخ موسى: النثر الفني في النقد العربي (فن الكتابة)، مكتبة ابن كثير، الكويت ،ط1997،1،ص16

[3]-المرجع نفسه: ص 16

"وقد كان الرسول –صلى الله عليه وسلم–يملي رسائله على كتابه بنفسه، وكان يتوخى فيها الإيجاز والوضوح، ومراعاة أحوال المخاطبين وبيئاتهم، ويبتعد عن التكلف والتعقيد، وتحفل كتب الحديث والسيرة والتاريخ والأدب بعدد كبير من رسائله إلى الملوك والأمراء والقبائل يدعوهم فيها إلى الإسلام، أو يبين بعض تعاليمه."[1]

فقد كان الهدف الذي يرنو إليه الرسول –صلى الله عليه وسلم–هو التركيز على المعاني والحرص على ضبط الألفاظ وبساطتها، ليتسنى للجميع فهمها؛ فقد كانت غايته التعريف بالدين الإسلامي، وهذا ما ثبت في رسائله إلى ملوك الفرس والروم والحبشة.

"وبعد تقدم الزمن قليلا تطورت الرسالة فبدأ ظهور نوع من التقنين للبدء والختام، أما من حيث الأسلوب فتردد بين الإطناب والإيجاز، ولنتابع النموذج والذي يمثل ما ذكرناه:كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم–إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة: "من محمد رسول –صلى الله عليه وسلم –إلى هوذة بن علي: سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فاسلم تسلم، واجعل لك ما تحت يديك"[2].

فهاته من بين الرسائل التي تمثل أغلبية رسائل الرسول –صلى الله عليه وسلم–التي امتازت بالإيجاز، ولكن على العموم تميزت بالدقة والتكثيف، بنقل الفكرة دون اللف والدوران والإكثار من السجع.

كما كانت للرسالة آنذاك بنية خاصة، فقد ختمت كلها بطابع ديني. فقد كان النبي يفتتح رسائله بالبسملة، ثم يقول: "من محمد رسول الله إلى فلان"، ويبتدئ صدورها غالبا بالسلام عليكم، أو السلام على من اتبع الهدى، ويثني بالتحميد بعد السلام، فيقول:" إني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو" ويتخلص من صدر الرسالة إلى المقصود تارة بـ (أما بعد) وأخرى بغيرها، وكان يختتمها في الأكثر بالسلام عليكم ورحمة الله، أو السلام على من اتبع الهدى.[3]

وتارة تكون رسائله بدون مقدمة أو خاتمة أو تأتي كلها أحاديث أو آيات قرآنية؛ أي حسب اتجاه الرسالة.

---

[1]– محمد خير شيخ موسى: النثر الفني في النقد العربي (فن الكتابة) ، ص17

[2]–أبو السعود سلامة أبو السعود، رمضان خميس القسطاوي، الأدب العربي في مختلف العصور، ص100

[3]–زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع هجري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، د ط،2013،ص58

"أما أسلوب هذه الرسائل فأسمى عادة من أسلوب الأنواع الأخرى من كتب الرسول –صلى الله عليه وسلم–ولكن هذا السمو لا يخرج بها إلى مرتبة الصنعة، وإنما إلى مرتبة فصاحة لغة الخطاب العادية، ويلاحظ في بعض الرسائل أن النبي –صلى الله عليه وسلم –كان يضع نصب عينيه المكتوب إليهم، فيكلمهم بما يقرب من لهجاتهم. ولعل هذا بسبب كثرة الألفاظ الغريبة في رسالتيه لوائل بن حجر الحضرمي، ولطهفة بن أبي زهير النهدى مثلا.[1]

فعلى العموم كانت هاته الرسائل مطبوعة بطابع واحد يتجلى في كتابة الرسائل بمنهج بسيط، والابتعاد عن التنميق لغاية التواصل والاقناع، وليس الإمتاع الذي يؤهل الكتابة إلى صنعة لها صبغتها الإبداعية والفنية.

وسار الخلفاء الراشدون على منوال الرسول –صلى الله عليه وسلم–إلا أنها عرفت بعضا من التطور والنمو كالإطناب، وورود بعض المفردات الجديدة وحضور السجع في بعض الأحيان.

3–في العصر الأموي:من بين أهم العصور التي ازدهر فيها فن الترسل هو العصر الأموي، إذ كان له الدور الكبير في تعزيز التواصل، وتوحيد أجزاء الدولة الأموية الواسعة؛ حيث كان الجزء الأساسي من النظام الإداري والسياسي للدولة الأموية.

ظهر ديوان الرسائل في أوائل العصر الأموي في أيام معاوية بن أبي سفيان وتطور سريعا حتى انتشر في الولايات المختلفة، مثل ديوان العراق، وديوان خرسان في عهد عبد الملك بنمروان، كما أن أوائل الكتاب الذين تقلدوا هذا الديوان كانوا عربا خلصا، مثل: عبيد الله بن أوس، وعبد الله بن أبي بكرة، ويحيا بن يعمر وقبيصة بن ذؤيب وروح بن زنباع، ويدل هذا على أن ديوان الرسائل عربي النشأة، وليس بالفارسي ولا اليوناني.[2]

تطورت دواوين الرسائل في عهد معاوية بن أبي سفيان أول خلفاء بني أمية، وزاد الاهتمام بها مع توسع الدولة الأموية، حيث أنها انتشرت في مختلف الولايات، وكان الهدف منها هو تنظيم المراسلات الرسمية والإدارية للدولة، وكذا توطيد العلاقات مع البلدان الأخرى، وإصدار أوامر التعيين، لذلك كانت الرسائل السياسية منتشرة في هاته الفترة. كما أن الرسالة نفسها تطورت وأصبحت الكتابة قبل أن ينقضي

[1]–حسين نصار: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص46

[2]–ينظر حسين نصار: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص74

العصر الأموي صناعة ذات قواعد وأصول.[1]أي أن الكتابة بدأت بالنمو بشكل ملحوظ، وأصبحت فنا ذا قواعد مضبوطة وأصول محددة، بحيث أن الرسائل لم تعد مجرد وسيلة وفقط بل تحولت إلى صنعة تتطلب مهارات وأساليب خاصة.

و"أصبح للرسالة مطالع، وفيها تحميدات تختلف باختلاف مقام الذين تصدر عنهم وتوجه إليهم، ثم لها خواتم تختلف أيضا بحسب ذلك، وكذلك حدث في متن الرسالة أشياء من السجع والموازنة ومن الترداد المقصود ومن التأنق في التعابير والجمل"[2].

فصارت الرسائل في هذه الفترة فنا متكاملا، وعملا أدبيا راقيا بفضل استخدام التكرار المقصود بهدف إبراز وإيضاح فكرة معينة، وإدخال في بعض المرات التأنق في متن الرسائل، وأيضا الخواتم التي تعكس مقام المرسل والمرسل إليه.

واهتم خلفاء بني أمية بهذا الفن، وقربوا إليهم الكتاب والنساخين، وأنشأوا دواوين خاصة بالرسائل، لها نظم وقوانين محددة، وقد تنافس الكثير من علماء وأدباء بني أمية في التفنن في الكتابة والترسل.

و"كان طبيعيا أن يعنى عبد الرحمان الداخل مؤسس الدولة الأموية في الأندلس بديوان الرسائل، كما عني به خلفاء أسرته الأمويون في دمشق، وخاصة جده هشام بن عبد الملك، وقد أسند الكتابة بقرطبة إلى أمية بن يزيد بن أبي حوثرة، وأسندها ابنه الأمير هشام إلى محمد بن أمية المذكور، وتولى مقاليد الحكم بعده ابنه الحكم الربضي، وأسندها الى حجاج المغيلي، وفطيس بن سليمان."[3]

وهكذا توالت الرسائل بين خلفاء الدولة الأموية وانتشرت بعد غلوها في الأندلس والدويلات الاخرى.

"وينتهي عصر الدولة الأموية، وندخل في عصر أمراء الطوائف، عصر التنافس السياسي الحاد بينهم، والتنافس الأدبي الحاد بين الأدباء من كتاب وشعراء. ويصبح السجع أشبه بقانون عام في جميع الرسائل الديوانية الصادرة عن هؤلاء الأمراء إذ التمسه جميع كتابهم في كل ما يكتبونه عنهم"[4].

[1]-ينظر عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ج1، ط4، ص375

[2]-المرجع نفسه ص 375

[3]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، (العصر العباسي الأول)، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط8،ج8، ص393

[4]- المصدر نفسه: ص445

وذلك التنافس هو الذي جعل كتابة الرسائل تولد من جديد بقانون السجع، وعنيت هاته الرسائل بالعناية الفنية من قبل الأمراء والسلطة الحاكمة.

4-في العصر العباسي:

تميز العصر العباسي الأول أو ما يسمونه بالعصر الذهبي بالثروة العلمية والأدبية في جميع المجالات، فقد كان عصرا خطيرا حقا في تطور النثر العربي، إذ تحولت إليه الثقافات اليونانية والفارسية والهندية، وكل معارف الشعوب التي أظلتها الدولة العباسية، بحيث تدخل جميع ذلك في تركيبه وائتلف مع نسيجه، وتولد منه جديد تلو جديد.[1]

تأثرت الثقافة العربية بشكل كبير بالثقافات الأخرى، وامتزجت هاته الثقافات بتركيبة النثر العربي، فسرعان ما أثرت فيه بشكل عميق مما أدى إلى التنوع والإثراء في الأساليب والمواضيع.

وأخذ النثر الأدبي الخالص يتأثر بملكات اللغة، خاصة الفارسية على نحو ما هو معروف عن ابن المقفع، وترجمته عن هذه اللغة لقصص كليلة ودمنة، ونقله لكثير من آداب الفرس الاجتماعية والأخلاقية ونظمهم في السياسة والحكم، مما كان له أعمق الأثر في الرسائل الديوانية وفي نشوء الرسائل الأدبية.[2]

تنوع النثر خلال هاته الفترة الزمنية وتطور، حيث كانت أشكاله تتغذى من مصادر متعددة من ثقافات متنوعة صبت عليه خزائن ذخيرتها، وانفتح عليها حتى اتسعت آفاقه ورؤياه وأصبحت لديه مزايا متشبعة باختلاف هاته الثقافات، وترجمت العديد من القصص، وتأثرت به الرسائل.

"وقد بلغت كتابة الرسائل في هذا العصر مكانة عالية، وقد كان بالانقلاب العباسي أثر عظيم في الميول والعقول، ظهر على أقلام الكاتبين، فاستنبطوا عيون المعاني، وتخيروا شريف الألفاظ، مما لم يكن حوشيا، ساقطا سوقيا، وفتحوا أبواب البديع"[3].

---

[1]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ، ص 445

[2]-المصدر نفسه ، ص442

[3]-محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية-مصر،ط1،،2004،ص39

فقد ضبطت الكتابة النثرية، وحظيت في هذا العصر بمكانة عالية، وكان للأحداث السياسية والثقافية تأثير كبير على مضامين الكتابة؛ حيث تأثر الكتاب بالأفكار الجديدة، مما دفعهم إلى الابتكار والتجديد في الأساليب، وكذا استخدام البديع مما جعل الكتابة في ذلك العصر تتميز بالرقي والإتقان.

"وقد تنوعت الدواوين في هذا العصر، منها: دواوين للخراج، ودواوين النفقات، ودواوين للجيش، ودواوين للحروب، ودواوين للرسائل، ودواوين للخاتم، ودواوين لشرقي الدولة، ودواوين لغربيها، ولكل ولاية ديوان، وفوق هذه الدواوين ما يسمى ديوان الزمام الذي ينظر في ضبط كل ديوان على حدة"[1]

غطت كل هاته الدواوين كل الجوانب الحياتية والإدارية، وكل ديوان خاص بمجال معين ينظمها ديوان كان مسؤولا عن ضبطها.

5-في عصر الدول والإمارات:

نشطت الرسائل في دول المغرب العربي إزاء قيام الدولة الرستمية والدولة الزيانية بالجزائر ودولة المرابطين، والموحدين، ودولة بنيمرين بالمغرب الأقصى، وسيطرت الرسائل السياسية في هاته الفترة، فمن الطبيعي أن تكون لكل دولة دواوين وكتاب خاصين بها.

في الجزائر:

"كان قيام الدولة الرستمية في تاهرت مبشرا بأن تصدر عن حكامها رسائل ديوانية مختلفة، حيث كانت تدون ويتناقلها كتاب متأخرون مثل الشماخي في السير، والباروني في الأزهار الرياضية، فمن ذلك رسالة الامام عبد الوهاب(171هـ-211هـ) كتب بها إلى أهل طرابلس وكانوا يوالونه، فاقتضت الدولة الحاجة إلى الدواوين، وكتاب الرسائل لتسيير أمورها وتحسين السياسة الداخلية والخارجية للدولة، فكل وزارة تحتاج لكاتب يقيد ويرسل الرسائل، فكثرت الدواوين في هاته الفترة. ومن بين الكتاب الكبار أفلح بن عبد الوهاب، أبو القاسم عبد الرحمان القالمي."[2].

[1]-شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي)،ص465

[2]-ينظر شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي (عصر الدول والإمارات: الجزائر-المغرب الاقصى-موريتانيا-السودان)، دار المعارف، ط1، القاهرة-مصر،ص227

ونشأت الدولة الزيانية التي أسسها يغمراسن منذ سنة 633هـ/1235م، وظلت تلك الدولة نحو ثلاثة قرون ونصف، وبمجرد أن شيّد ملك أسرته أسس فيها الدواوين، واتخذ أديبا من أبرع الأدباء الأندلسيين كاتبا له هو أبوبكر محمد بن عبد الله بن خطاب الغافقي من أهل مرسية، كتب قبله لأمراء غرناطة ونزل تلمسان فاتخذه كاتبا له.[1]

أما في العهد العثماني، ففيه ضعفت كتابة الرسائل الديوانية لأن الدولة الحاكمة كانت تركية، وكانت تعتمد على اللغة التركية في رسائلها ومنشوراتها الديوانية إلا في عهود باشاوات أو ولاة معدودين، هم: محمد بكداش ومحمد الكبير والحاج أحمد في قسنطينة، فإنهم اتخذوا لهم كتابا يحذقون العربية.[2]

أما الرسائل الإخوانية فقد كانت قليلة لانحصار الدولة على الرسائل الديوانية، فهذا يدل على أن العامل السياسي كان هو الغالب.

ثالثا–أنواع الرسائل في التراث النثري العربي:

تعددت الرسائل وتنوعت مضامينها إلى رسائل ديوانية، وإخوانية، وأدبية صادرة من الكتاب.

1–الرسائل الديوانية:

زادت العناية بالرسائل بعد أن ضبطت الدولة الإسلامية أغراض الشعر، فمال العرب إلى التدوين، فكانت أول الرسائل التي انتشرت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هي الرسائل الديوانية، وبعدها سار على منوالها الخلفاء الراشدون، والتي كانت تكتب وترسل للولاة والقادة والمماليك وكان لها الدور الكبير في انتشار الاسلام[3]. وهي الرسائل "الصادرة عن ديوان الخليفة والأمير يوجهها إلى أعدائه أحيانا منذرا ومتوعدا."[4] فالرسائل إذن هي تلك الرسمية التي تتبادلها مع الحكومات أو الجهات الرسمية بين بعضها البعض.

[1]– شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي (عصر الدول والإمارات: الجزائر–المغرب الاقصى–موريتانيا–السودان): ص231

[2]–المرجع نفسه ص231

[3]ينظر عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، ط2 ،ص273

[4]– المرجع نفسه: ص 273

وأشار أحمد الشايب إلى خصائص هذا النوع قائلا: "ويغلب على هذا النوع الدقة والسهولة في التعبير والتقيد بالمصطلحات الحكومية والخفية، والمساواة في العبارة والبراءة من التمويل والتخييل."[1] بمعنى أن هاته الرسائل تتطلب دقة المعلومات، وليس التفنن فيها، بهدف نشر الحقائق الثابتة وأدائها بأسلوب واضح.

و"هذه الرسائل عرفت منذ العهد النبوي، كتب الرسول صلوات الله عليه إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام، وكتب الخلفاء من بعده إلى عمالهم وقوادهم، وصارت منذ العصر الأموي، فاختص به جماعة فرغوا له، ثم توالى الكتاب على مر الزمان، وصارت الرسائل لسان الدولة في جلائل الأمور، بها تكتب عهود الخلفاء واولياء العهد وبها يخاطب الجمهور في الدعوة الى الطاعة والتحذير من المخالفة وهذه الرسائل صورة لأحوال الدول المختلفة، ولاسيما الأحوال السياسية."[2]

انتشرت الرسائل الديوانية في هاته الفترة، حيث اتخذ الرسول –صلى الله عليه وسلم –كتابا ليدونوا له الرسائل لإرسالها الى الملوك وغيرهم يدعوهم فيها الى الإسلام.

ولقد ظهر هذا النوع في الأندلس حصيلة الصراعات والخلافات التي وقعت فيها، والتي كانت غالبا بين الولاة والحكام، فكثيرا ما كانت النصوص الأدبية تستخدم كوسيلة لتوثيق هذه الأحداث وتسجيل تفاصيلها، وكان تداول هذا النوع من الأدب بين الخلفاء والملوك نتيجة للتأثير السياسي والثقافي في تلك الفترة.

"ومع ذلك فهذا النوع الأدبي مهما بلغ في إجادته الفنية فإنه لا يخرج عن كونه متصلا بحادث أو عارض، وقلما يكون له صفة من الدوام التي تهم الناس في كل زمان ومكان.[3]

"فالرسالة الديوانية تصدر عن أمر رسمي من الخليفة أو الأمير لوال أو وزير أو شخصية بارزة معينة، ولهذا تتطلب من كاتبها ثقافة كبيرة في الأدب والتاريخ، وحفظ عدد من الشواهد الشعرية والنثرية والأقوال والحكم...وتتصف الرسالة الديوانية بالأسلوب الرصين، المنمق البلاغي، وقد اشتهر في التاريخ العربي

[1]–أحمد الشايب: الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الاساليب الادبية)، مطبعة النهضة، القاهرة–مصر، ط6 ،1966، ص113

[2]–طه حسين وآخرون: التوجيه الأدبي، المطبعة الاميرية، القاهرة–مصر،1952

[3]–ينظر عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان،1976،ص449

عدد بارز من كتاب الدواوين كان لهم قدم راسخة في الأدب مثل عمارة بن حمزة وابن المقفع، وعبد الحميد الكاتب، والقاضي الفاضل، وبلغ بعضهم مرتبة الجمع بين الوزارة والكتابة."[1]

2-الرسائل الاخوانية:

تمثل الرسائل الإخوانية مجموعة من الأعمال الأدبية التي تعكس مفهوم الأخوة والتضامن بين الإخوان والأصدقاء.

"هي تلك الرسائل التي تدور بين الإخوان والأصدقاء والخلصاء، ومنها أيضا الرسائل التي يرسلها الكاتب إلى من يريد أن يخطب مودته، ويلتمس منه أمرا من الأمور وهذا النوع من الرسائل فسيح الإبداع يتبارى فيه الكتاب والأدباء، ويتيح لأقلامهم وقراءتهم أن تنطلق على سجيتها وأن يعبر اصحابها عن عواطفهم الشخصية في لغة مصقولة منتقاة وأساليب قوية."[2]

حيث إن الكتاب دأبوا على كتابة الرسائل الإخوانية؛ فهي تحمل طابعا شخصيا يسهل التواصل بها. ولها أغراض متعددة منها النصح والإرشاد، التهاني...وغيرها من الأمور، وتمثل هاته الرسائل مجالا خصبا للإبداع الأدبي؛ بحيث يمكن للكتاب تفريغ مشاعرهم والتعبير عن أفكارهم بطريقة فنية.

"لا يوجد ما نستطيع أن نسميه إخوانيات الجاهلية. وفي الصدر الأول من الإسلام لم نكد نجد شيئا من الرسائل الإخوانية ماعدا رسالة إخوانية للنبي -صلى الله عليه وسلم- وهي رسالة تعزية في وفاة ابن معاذ بن جبل وكان نصها كالآتي: "من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله الا هو، أما بعد: فعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، ثم إن أنفسنا وأهالينا وموالينا من مواهب الله السنية، وعوارفه المستودعة نتمتع بها إلى أجل محدود ونقبض الوقت المعلوم، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى، والصبر إذا ابتلى منك بأجر كثير..."[3]

وتشير هاته الرسالة إلى فكرة تضامن الرسول -صلى الله عليه وسلم-في الفترة الأولى من الإسلام، وتعد من الرسائل النادرة التي تندرج ضمن الإخوانيات.

---

[1]-محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ص479

[2]- عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس ، ص454

[3]-نصار حسين: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص87-88

"والرسائل الإخوانية أنواع شتى، أوصلها صاحب كتاب صبح الأعشى إلى سبعة عشر نوعا هي: التهاني، التعازي، التهادي، الشفاعات، التشوق، الاستعطاف، الشكوى، الشكر، العتاب، السؤال عن حال المريض..."[1]

فتأتي الرسائل الإخوانية في أشكال مختلفة، وكل نوع يعبر عن أحاسيس، ويستخدم كذلك لأمور شخصية اجتماعية أو دينية.

أما في العصر العباسي فقد نمت الرسائل الإخوانية نموا واسعا، ونقصد بالرسائل التي تصور عواطف الأفراد ومشاعرهم، من رغبة ورهبة، ومن مديح وهجاء، ومن عتاب...وكانت هذه العواطف تؤدى في العصر الأموي بالشعر، وكان من النادر أن تؤدى بالنثر.[2]

فقد كان نجاح العرب في العصر العباسي مقرونا بكتابة الرسائل الأدبية الفنية.

3-الرسائل الأدبية:

بدأت الرسائل الأدبية بالظهور في العصر العباسي، وهي عبارة عن رسائل إخوانية تطورت حتى أصبحت من الفنون الأدبية "تعنى بالكتابة في موضوع محدد"[3] لمعالجته أو موضوعات محددة تحمل في طياتها أفكارا أدبية. ولكنها لم تغز كنوع أدبي خالص كما طغت في العصر الحديث. حيث يستخدم الأديب أسلوبا أدبيا راقيا، إضافة إلى هذا تم "تسميتها بالرسائل الخاصة، لأنها تدل على أمور شخصية خاصة وغير عامة."[4]

تمتاز الرسائل الأدبية بكونها شخصية غير رسمية، فهي تتناول موضوعات شتى كتبادل المعرفة والتجارب الشخصية والآراء بين المرسل والمستقبل، والذي يميزها أنها تدور بين الأدباء والكتاب أي الطبقة المثقفة.

---

[1]-عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، ص454

[2]-ينظر شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي)،ص491

[3]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي: ص442

[4]الطاهر توات: أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين 7و8، ديوان المطبوعات، ج2، ط2،ص 7

"ومهما يكن من أمر فإن الرسائل الأدبية هي ميدان فسيح معد للسباق حتى تظهر فيه مدى قدرة الكاتب ومهارته الإنشائية "[1]

تفنن العديد من الأدباء في كتابة هذا النوع من الرسائل، مما أتيحت لهم فرصة لاستكشاف تجاربهم الشخصية، ومهاراتهم الإبداعية، حيث أضاف كل منهم لمسته الفريدة،

وهذا الأمر ساعد على بعث الروح الفنية والذوقية في هاته الرسائل.

"ولا تختلف هذه الرسائل من حيث الصناعة اللفظية عن الرسائل الديوانية، فأكثرها يسود فيه السجع والبديع "[2]، فكلاهما يهتمان بتنسيق الألفاظ، والتلاعب بها بما يخدم الكاتب، وحرصهم على تعزيز الخطاب النصي بآليات الحجاج الإقناعي، وهذا الاشتراك نسبي فلكل واحدة منهما محتواها، فالرسائل الديوانية رسمية ترسل لجهات إدارية في مجال السياسة. أما الأدبية فتركز على هدف أدبي للتعبير عما يدور في النفس من أفكار وأحاسيس.

رابعا: أشهر المترسلين في التراث النثري العربي:

أ–ابن العميد:

من بين أهم وأشهر المترسلين في العصر الأموي الكاتب ابن العميد "هو أبو الفضل محمد بن الحسين، فارسي الأصل من مدينة قم الشيعية الإمامية، فيها منشؤه ومرباه، مما أعده ليكون شيعيا إماميا مثل أمرائه البويهيين. وكان أبوه كاتبا فذا، كتب لما كان بن كاكى ثم للسامانيين، وهم الذين لقبوه بلقبه العميد كعادتهم فيمن يتقلد لهم ديوان الرسائل. ولم يلحق ابنه معه بديوانهم، بل ألحقه بدواوين البويهيين، وخدم ركن الدولة الحسن بن بوية صاحب الري، ولم يزل يترقى عنده، حتى أصبح وزيره منذ سنة 328هـ حتى وفاته سنة 360هـ"[3].

[1]– الطاهر توات: أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين 7و8 ، ص19

[2]–أنيس المقدسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط6، بيروت–لبنان،1979،ص323

[3]شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ج5، 551

"كان ابن العميد مثقفا ثقافة واسعة بجميع علوم عصره حتى ليقول ابن مسكويه مؤرخ البويهيين المشهور: كان أجمع أهل عصره لآلات الكتابة، حفظا للغة والغريب، وتوسعا في النحو والعروض، واهتداء إلى الاشتقاق والاستعارات، وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية والإسلام "[1]

"ويقول ابن الأثير: كان عالما في عدة فنون، منها الأدب، فإنه كان من العلماء به، ومنها حفظ أشعار العرب فإنه حفظ منها ما لم يحفظ غيره مثله، ومنها علوم الأوائل فإنه كان ماهرا فيها "[2]

وكان نثار القرن الرابع هجري يقولون: "بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد "، وبهذا يقول الثعالبي: "أوحد العصر في الكتابة وجميع أدوات الرياسة وآلات الوزارة والضارب في الآداب بالسهام الفائزة، والأخذ من العلوم بالأطراف القوية، يدعى الجاحظ الأخير والأستاذ الرئيس يضرب به المثل في البلاغة، وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلامتها، ومن يقرأ ما اقتبسه الثعالبي من كتاباته يؤمن بأنه هو الذي أعطى الكتابة في عصر الدول والإمارات صيغتها التي ظلت الأجيال المتوالية تستخدمها، وهي صيغة قامت على أساسين كبيرين: أولهما السجع، وكان السجع معروفا من قبله في كتابه، بقوله: كتابي إليك، وأنا متأرجح بين طمع فيك، ويأس منك، وإقبال عليك، وإعراض عنك، "كما يكثر من الجناس والكتاب زاخر به، وبالطباق وبتصاوير كثيرة كقوله فيه معاتبا صاحبه: ألم تكن في ظل ظليل، ونسيم عليل، وريح بليل،

وهواء عذب وماء روي ومهاد وطي(لين)وكن كنين، ومكان مكين، وحصن حصين."[3]

ب–الصاحب بن عباد:

"هو كافي الكفاة اسماعيل بن عباد، من أهل الطالقان: ولاية بين قزوين وأبهر، ولد عام 326هـ لأبيه عباد بن العباس الطالقاني، وكان يعمل مع ابن العميد في ديوان ركن الدولة بالري، وعني به، ورسائله منشورة، وهي في عشرين بابا يشتمل على عشر رسائل، ماعدا البابين السابع والثامن عشر، وأولهما في الآداب والمواعظ، وبه أربع رسائل، والثاني فصول قصيرة وتوقيعات موجزة. وقد ذكرت في

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ، ص 556

[2] المصدر نفسه: ص 556

[3] المصدر نفسه : ص 556

مدخل الرسائل القيمة التاريخية لها وجميعها ديوانية، أو الكثرة الكثيرة منها، ولذلك كانت تعد وثائق قيمة عن الدولة البويهية، وخاصة أن الصاحب يعرض فيه حروبهم، وأسماء قوادهم وقضاتهم، كما يعرض معاهدتهم، وإدارتهم لشؤون الرعية، مما يجعل لها قيمة سياسية واجتماعية بعيدة. والباب الأول منها خاص بفتوح عضد الدولة وحروبه مع أخيه فخر الدولة وقابوس بن وشمكير الروم ومع ابن حمدان، وفي كل ذلك تفاصيل جديدة تضيفها الرسائل إلى ابن الأثير وغيره من المؤرخين"[1].

"ولرسائل الصاحب المنشورة قيمة تاريخية كبيرة، وأيضا لها قيمة أدبية، لأنها المجموعة الوحيدة التي وصلتنا عن كتاب البويهيين في القرن الرابع هجري هي دائما تبتدئ بالتحميد والتمجيد والصلاة والسلام على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–أو بالدعاء، ويعقب الصاحب هذا البدء بذكر أميره الذي يكتب عنه مكتفيا بلقبه المشهور الذي خلعه عليه الخليفة"[2] ويبدو أن الصاحب كانت له مكانة مرموقة ومقربة عند الخليفة، بسبب إتقانه الكتابة وتمرسه فيها.

غير أنه في ذلك كله اتبع "أسلوب ابن العميد الذي يقوم على السجع والبديع. ويروي معاصروه طرفا كثيرة عن ميله للسجع وإيثاره، حتى زعموا أن ابن العميد قال: خرج ابن عباد من عندنا من الري متوجها إلى أصفهان وطريقه رامين، وواضح أنه تمثل طريقة أستاذه ابن العميد فهو يعنى أشد العناية بانتخاب ألفاظه حتى يكون بناء رسالته في هذا الفتح قويا سامقا. ويعنى بأسجاعه فهي تتقابل وتتوازن مهما طالت"[3].

وكان ابن عباد رمزا للثقافة والعلم والأدب في عصره ويعتبر واحدا من الشخصيات التي تركت أثرا كبيرا في التاريخ الإسلامي بفضل إسهاماته النثرية المتنوعة والمتعددة.

ج–العماد الاصبهاني: "هو عماد الدين محمد بن محمد بن حامد، ولد بأصبهان سنة519هـ، وقدم به أبوه إلى بغداد، واستقر بها، وانتظم في سلك المدرسة النظامية، وعاد إلى أصبهان سنة 552هـ، ولم يلبث أن رجع إلى بغداد، واتصل بوزيرها عون الدين بن هبيرة"[4].

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ، ج5، 558

[2] المصدر نفسه: ص 562

[3] المصدر نفسه،ص 552

[4] المصدر نفسه ، ص 301

والعماد الأصبهاني أديب كبير، كاتب وشاعر، وكان له ديوان كبير في أربعة مجلدات، وديوان صغير كله رباعيات، وكان يجيد الفارسية، كما برع في كتابة الرسائل الديوانية، إذ سجلت في مجلدات ضخام، وكان كلما فتح صلاح الدين فتحا دحر فيه الصليب، ومزقهم تمزيقا، كتب بذلك إلى الخليفة ببغداد وإلى القائمين على البلدان من الحكام، يبشر بالنصر المبين في سبيل الدين، وتقتطف قطعة من كتاب عن صلاح الدين إلى الخليفة يخبره فيه بضم الموصل، بعد موت صاحبها غازي بن مودود، إلى دولته[1].

ومما كتبه العماد: "لا خفاء أن مصر إقليم عظيم وبلد كريم، أنقذها الله من عبيد بنى عبيد الفاطميين وأطلقها بمطلقات أعنّتنا إليها من عناء كل قيد، وفيها شيعة القوم، وهم غير مأمونى السر إلى اليوم.

وطوائف أقاليم الروم والفرنج بها مطيفة، فمن حقها أن يتوافر عسكرها، فلو حصل-والعياذ بالله-بها فتق لأعضل رتقه، واتسع على الراقع خرقه، واحتجنا لحفظ بلاد الشام، وثغور الإسلام إلى استصحاب العسكر المصري إليها، وله خمس سنين فبيكارها (حربه) منتقما من كفارها متحملا لمشاقّها على غلاء أسعارها"[2].

ح-الصفدي:

"هو صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ولد بصفد في فلسطين سنة 696 هـ، وعني في أول حياته بصناعة الرسم، ثم اتجه الى علوم الشريعة والعربية، وتنقل بين دمشق والقاهرة يأخذهما من كبار العلماء، وأولع بالأدب، وكان أول ما ولى من الأعمال كتابة الدرج بموطنه صفد، يكتب ما يوقع به كبار الكتاب في دواوينها لجودة خطه، ثم انتقل إلى القاهرة، وشغل نفس العمل بدواوينها، ومضى يختلف الى حلقات العلماء والأدباء بها، وتركها إلى دمشق، وكان رئيس الديوان بها حينئذ الشهاب محمود إذ نقل إليها من القاهرة سنة717 هـ، وأعجب بالشاب الصفدي، وعينه في كتابة الدست، حتى يعاونه في عمله، وما يتصل به من إنشاء بعض الرسائل"[3].

وانعقدت صلة وثيقة بينه وبين ابن نباتة، وتخرج على يديه شاعرا، كما تخرج على يدي الشهاب محمود كاتبا مجيدا، وتوفي الشهاب محمود سنة 725 هـ، وظل الصفدي يعمل في دواوين الشام، وعين رئيسا

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ، ص 301

[2] المصدر نفسه، ص 302

[3] المصدر نفسه ، 562

لديوان الإنشاء بحلب وقتا، وعاد إلى دمشق وإلى وظيفته بها في كتابة التواقيع والمراسيم الخاصة بتعيين القضاة وكبار الموظفين، وأضيفت إليه حينئذ وكالة بيت المال، واستمر في الوظيفتين إلى أن توفي بدمشق سنة764 هـ، وكان قد تصدى قبيل وفاته في الجامع الأموي للتدريس وكان يحضر حلقة دروسه أحيانا بعض شيوخه مثل الذهبي وابن كثير"[1].

"ويعد من أكبر المصنفين في التراجم والأدب والبديع والنقد، وعلى راس مصنفاته في التراجم كتاب الوافي بالوفيات، وهو في نحو ثلاثين مجلدا، ونشرت طائفة من أجزائه، واستخلص منه مع إضافات جديدة كتابه "أعوان النصر وأعيان العصر" من الأدباء والشعراء، وهو في ستة مجلدات وفي دار الكتب المصرية من مجلدات متفرقة، وألف في مشاهير المكفوفين في كتابه: نكت الهميان في نكت العميان، وهو منشور، وله التذكرة الصفدية، وهي مختارات أدبية، وكتاب تشنيف السمع في انسكاب الدمع: دمع المحبين والعشاق، وله في المحسنات البديعية كتاب قص الختام عن الثورية والاستخدام وكتاب جنان الاجناس، وله في النقد نصرة الثائر(وهو ابن ابي الحديد)على المثل السائر لابن الأثير"[2].

[1] شوقي ضيف : تاريخ الادب العربي ج5ص 562

[3]المصدر نفسه، ص 552

الفصل الثاني

الفصل الثاني: مظاهر التجديد في فن الترسل في العصر الحديث وإشكالية التجنيس

توطئة:

شهد الأدب العربي في العصر الحديث نهضة أدبية في مجال الفنون النثرية، فظهرت أنواع جديدة لم تكن معروفة من قبل، بفعل حركة التلاحق الفكري بين العرب والغرب، بينما ازدهرت فنون أخرى وتجددت مضامينها وأشكالها البنيوية. ولعل أبرز هذه الأنواع المتداولة حركة المترسلين الكتاب والشعراء والعلماء والسياسيين.

ولئن غلبت عليها في البداية النزعة التقليدية من خلال إعادة إنتاج أساليب الكتابة الترسلية القديمة وأغراضها، فإن حركة الترسل تجاوزت بعد ذلك المنوال الكلاسيكي، وعرفت تجديدا في أشكال الترسل ومضامينه على أيدي دعاة التجديد بدءا من أدباء الرومانسية[1]. ومن جهة أخرى بقي الأدب التراسل الأنثوي في الأدب العربي الحديث سجين فوبيا التصريح والاعتراف ووصمة الحب. إذ لا نكاد نقرأ من الرسائل غير تلك التي كتبها العشاق تصريحا أو تلك التي هي رسائل الصداقة بين كاتبين من نفس النوع وغالبا من الرجال .

وهوما جعل إسهامات النساء نادرة جدا سواء في التراسل الوجداني أو التراسل الإنساني الأشمل، وسواء كانت الرسائل موجهة إلى حبيب أو إلى صديقة، بل وحتى النساء اللواتي أخرجن رسائل عشاقهن إلى القارئ لم يكن لهن الجرأة على نشر رسائلهن إلى عشاقهن، وكل هذا الغياب لا يعود إلى مدى هامشية –إن صحت العبارة–أدب التراسل بل إلى الوصم الذي يلتصق بكتابات النساء[2].

يثير فن التراسل في الأدب العربي الحديث الكثير من التساؤلات والإشكالات، ولعل أبرزها تحديد هوية هذا الفن وحدوده النوعية، إشكالية التلميح والتصريح وخاصة في التراسل الأنثوي، وغيرها من الإشكالات الأخرى.

---

[1]– ينظر شفيع بالزين: الرسائل بين الأدباء العرب في العصر الحديث، زينب للنشر و التوزيع، قليبية، تونس، 2019، ص 425

[2] ينظر فتحية دبش: https://www.facebook.com/fathia.dab.5/posts/pfbid0oHD7erRt3HpDtyJB7K2FxGwG86qM94JeXkvg9KbwDX3VmqeZDc2JhBxm3zoEkrWKl

المبحث الأول: إشكالية تجنيس التراسل بين الشعر والنثر:

1-التجنيس الأدبي بين القبول والرفض:

يعد الأدب الهيكل الرئيس لواجهة الأمم ورمز لها، والأدب يعكس المبادئ والأفكار والأعراف ومشاعر أمة من الأمم، وقيمها الثقافية والفكرية والسياسية فهذه من تلك وتلك من هذه، حيث كان محط اهتمام النقاد والمبدعين، وكان مبدأ الفصل بين الأجناس قانونا أساسيا؛ حيث انشغل الدارسون الغرب والعرب بدءا من أرسطو الذي نظر لتصنيف الأنواع الأدبية في كتابه "فن الشعر"، إذ جعل الأدب شعر او نثرا. فالنثر خطابة، رسائل ومقامات في العصور القديمة ورواية وقصة ومقالة في العصر الحديث[1].

إذا كانت البحوث النظرية قبل القرن العشرين تؤسس لنظرية الأجناس الأدبية تمثلا وانضباطا وفصلا، فإنه في عصر ما بعد الحداثة أصبحت الأجناس الأدبية متداخلة ومختلطة، إذ يصعب الحديث عن جنس أدبي معين.

فجماعة تيل كيل – مثلا-ترفض هذه النظرية بشكل جذري، وتقطع مع عملية تحاول تصنيف وضبط العمل الأدبي تحت مظلة معينة، فلا يهمها إلا العمل أو الأثر الأدبي أو الكتاب في حد ذاته[2].فالنصوص الأدبية متجددة، وبنية الجنس الأدبي لم تعرف الاستقرار في أي عصر من العصور، وإنما كانت تخترق دائما بنصوص طليعية غير مألوفة إذا ما قورنت بالنصوص السابقة عليه.

يؤكد رينيه ويليك على الفكرة السابقة بالرغم منه حاول حدّ هذا المصطلح النقدي بحدود نظرية، فهو يرى في معرض آخر أن نظرية الأجناس الأدبية "لا تحتل مكان الصدارة في الدراسات الأدبية في هذا القرن، والسبب الواضح لذلك هو أن التمييز بين الأجناس الأدبية لم يعد ذا أهمية في كتابات معظم كتاب عصرنا. فالحدود بينها تعبر باستمرار، والأنواع تخلط أو تمزج، والقديم منها يترك أو يحوّر، وتخلق أنواع جديدة أخرى إلى حد صار معها المفهوم نفسه موضع شك"

وقد اختلف النقاد والأدباء في تعريفهم للجنس الأدبي بناء على المعايير التي يعتمدونها، ومفهومه معقد نظرا للتداخلات الدلالية والاصطلاحية بينه وبين مفاهيم أخرى مثل النوع الأدبي. وفيما يلي بعض

[1] ينظر رشيد يحياوي: مقدمات في نظرية الأنواع الأدبية، وكالة الصحافة العربية، الجيزة-مصر، 2016 ، ص 5

[2] ينظر جميل حمداوي: من أجل قوانين جديدة لتحديد الجنس الأدبي، ديوان العرب، 2011، https://mail.diwanalarab.com

المفاهيم التي قدمها النقاد ومنظرو الأدب حول الجنس الأدبي والنوع الأدبي، وما يرتبط بهذا المدلول من معان.

2-بين الجنس والنوع:

حسب رالف كوهين فإن "مصطلح النوع "Genre"مصطلح حديث نسبيا في الخطاب النقدي، وكانت المصطلحات المستخدمة للتعبير عن معناه قبل القرن الثامن عشر في " kinds" أو" species''، ويستمد المصطلح "Genre" أصله من الكلمة اللاتينية "genus" التي تشير في بعض الأحوال الأخرى إلى" kind"، أو"sort" أو"specie" ولكن في بعض الأحوال الأخرى تعتبر"specie" فرعا من "Genus" جذرها هوGenre وGignere بمعنى أن ينجب)» وفي حالة المبني للمجهول) أن يولد.[1]فهاته الخلفيات اللغوية المتداخلة جعلت مصطلح النوع معقدا[2].

وحسب رينيه ويليك أن النوع الأدبي هو"مؤسسة كما أن الكنيسة أو الجامعة أو الدولة مؤسسة"[3]، فكما يرى الفيلسوف رينيه ويليك أن الأنواع الأدبية لها معايير وأعراف تشكل إطارا تنظيميا، مثلها مثل المؤسسة فهي الأخرى تعتبر بنية اجتماعية وثقافية تتضمن مجموعة من القوانين التي لها السلطة في تسييرها[4].

وبالنسبة لآبي فانسون: ليست الأنواع الأدبية سوى "صيغ فنية عامة لها مميزاتها وقوانينها الخاصة، وهي تحتوي على فصول أو مجموعات ينتظم خلالها الإنتاج الفكري على ما فيها من اختلاف وتعقيد"[5]، بحيث تستخدم هذه الأنواع لتصنيف الأعمال الأدبية بناء على خصائص معينة.

---

[1]-رالف كوهين: "فصل التاريخ والنوع"، ضمن كتاب تودروف وآخرون، القصة، الرواية، المؤلف، دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة، تر: خيري دومة، دار الشرقيات، القاهرة-مصر، ط1 ،1997،ص25.

[2] ينظر رشيد يحياوي: مقدمات في الأنواع الأدبية، ص 6

[3]-رينيه ويليك، أوستن دارين: نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2 ،1987،ص237.

[4] ينظر رينيه ويليك، أوستن دارين: ص 237

[5]-فيروز رشام: شعرية الأجناس الأدبية في الأدب العربي(دراسة أجناسية لأدب نزار قباني)،دار فضاءات،عمان، الأردن،ط1 ،2017 ،ص26

بينما عز الدين إسماعيل يجعل الجنس الأدبي "صورة خاصة من صور التعبير لها بواعثها وأصولها وخصائصها ومجالها"[1]، فلكل جنس أدبي مضمونه وأسلوبه وبنيته وضوابط كتابته.

ويحصره عبد العزيز شبيل في "معنى التمايل أو التذبذب"[2]، وهذا الحصر يقودنا لفهم أن الأنواع الأدبية في تغير دائم ومستمر، حيث يتمايل الأدب بين مختلف الأشكال، وهو الذي يعكس التمييز والتنوع فيه.

وقدّم سعيد يقطين تلخيصا للمعطيات التي قدمها القدامى بشأن مصطلحات النوع والجنس الأدبيين.

"الجنس: وهو الاسم العام الذي يجمع مختلف الأنواع بغض النظر عن العصر، وأجناس الكلام كما يقدمها لنا القدامى إما شعر أو نثر.

النوع: وهو ما يندرج ضمن الجنس ونجد أنواعا ثابتة وأخرى متحولة، فضمن الشعر نجد القصيدة والرمز، وضمن النثر نجد الرسالة والخطبة.

النمط: كلما هو مشترك من صفات الكلام بغض النظر عن الجنس أو النوع"[3].

ومن خلال هاته التعريفات يبرز سعيد يقطين التمييز بين المفاهيم. موضحا أن الجنس الأدبي هو الإطار الأوسع الذي تندرج فيه أنواع أدبية محددة، وقد تكون إما ثابتة أو متحولة.

وفي مفهوم آخر:" هو أحد القوالب التي تصب فيها الآثار الأدبية"[4]، فيمثل الجنس الأدبي المركز الجامع والمشترك الذي تنصب فيه، وكوعاء يحتوي على جميع الإنتاجات الأدبية.

ويرى صلاح فضل أن الجنس الأدبي: "هو فكرة ملازمة لفكرة الأسلوب، فلكل جنس أشكال تعبيره الضرورية المحددة"[5].

[1]-عزالدين إسماعيل: الأدب وفنونه (دراسة ونقد)،دار الفكر العربي،القاهرة-مصر،2013،ص69

[2]-عبد العزيز شبيل: نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري (جدلية الحضور والغياب)، دار محمد علي الحامي، صفاقس-تونس ،ط1 ،2001،ص144-145

[3]-سعيد يقطين: الكلام والخبر مقدمة السرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب،ط1 ،1997،ص153

[4]-مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان،بيروت-لبنان،1974،ص189

[5]-صلاح فضل: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، دار الشروق،ط1 ،1968،ص338

الأسلوب بالنسبة له هو الذي يصنف الأنواع الأدبية كما جاء به جاك دريدا. فعلى سبيل المثال، الأسلوب في الشعر يتضمن الصور البلاغية القافية والوزن العاطفة الخيال بينما الأسلوب في الرواية يركز على السرد والوصف.

والجنس الأدبي هو "لفظ من ألفاظ المعجم يدل بصورة عامة على معنى الأصل كما يشهد على ذلك عديله اللاتيني"[1]، فمع اختلاط وتعدد المفاهيم عبر الترجمة إلا أن الجنس الأدبي يعتبر المرجعية الأساسية والأصلية التي تحتوي كل القوالب التعبيرية.

"الجنس صورة من صور التعدد، فلكي يكون الجنس لابد من انضمام قائم على معايير المشابهة لعناصر فردية عددها غير محدود."[2]، فيمثل الجنس الأدبي التصنيف الذي يستخدم لتنظيم الأعمال الأدبية وفق الخصائص المشتركة.

ويحدّد الناقد التونسي محمد القاضي الجنس الأدبي بقوله: "الجنس الأدبي مفهوم مجرد يتبوأ منزلة مخصوصة بين النص والأدب. إنه مرتبة وسطى نستطيع من خلالها أن نربط الصحة بين عدد من النصوص التي تتوفر فيها سمات واحدة."[3]، فمفهوم الجنس الأدبي عنده يدل على الشمولية وتضمن الجنس الأدبي واحتوائه على جميع الأعمال الأدبية وتصنيفها حسب الخصائص المتشابهة بين المنجزات الأدبية.

وانطلاقا من المهاد النظري السابق تطرح أمامنا إشكالية: هل الترسل فن نثري أم شعري؟ العودة إلى إشكاليات أخرى في أن ماهي خصائص الشعر والنثر؟ وما الذي نعتمده في قولنا إن هذا نص شعري أم نثري؟

فهنالك خصائص شكلية وضمنية أشار إليها النقاد العرب مثل أبي هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" ويقصد بها صناعتي النثر والشعر.

فجل ما هو متفق عليه أن ما يميز الشعر هو العنصر الشكلي الخارجي: الموسيقى والوزن والقافية، بيد أن هذا الكلام ليس كافيا في التمييز بينهما، فإن ألفية ابن مالك تتوافر على عنصري الوزن والقافية وليست شعرا بل نظما.

---

[1]-ايف ستالوني: الأجناس الأدبية، تر: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان،ط1 ،2014،ص17

[2]-المرجع نفسه: ص21

[3]-محمد القاضي: الخبر في الأدب العربي(دراسة في السردية العربية)،دار الغرب الاسلامي،بيروت-لبنان،ط1 ،1998،ص27

وهنالك من قالوا إن اللغة هي التي تفرق بين الشعر والنثر، فلغة الشعر أكثر إيحائية وتوترا من النثر، ولغة الرواية ليست كلغة الشعر. ولكل ضوابطه وأعرافه المتعارف عليها.

ومنذ أرسطو إلى يومنا هذا يضم النثر تحت طياته رسالة وخطابة وأمثال وحكم فالرسالة فن نثري قديم وهو النوع الذي يمكن له أن يحضر في كل الأنواع مثلا في الخطابة والمقالة والقصة...

والكتابة إبداع لا حدود لها، فنرى مثلا رسائل اصطبغت بالشعر وتضمنت أبياتا شعرية، ورسائل كتبت على شكل شعر، والتي سميت برسائل شعرية كما كانت الرسائل القديمة التي ظهر منها في العصر الجاهلي قبل التدوين. فالشعر سماعا والنثر قراءة.

ومن النماذج الرسالية التي وردت في شكل شعر قول حاتم الطائي:

ألا ابلغا وهم بن عمرو رسالة فإنك أنت المرء بالخير أجدر

رأيتك ادني الناس منا قرابة وغيرك منهم كنت أحبو وانصر

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا بموت، فكن يا وهم ذو يتأخر[1]

فهنا وردت كلمة "أبلغ" و"رسالة" وجاءت صريحة في البيت الأول، كذلك ورد ذكر المرسل إليه العنصر الأساسي في الرسالة " وهم بن عمرو" حتى أنها جاءت تحمل خصائص الرسالة في الإيجاز والملاءمة والطلاوة، أي أنها بلغت الغاية والغرض. ولكن هذا لا يعني أن الرسالة تندرج ضمن الشعر بل عموما هي ضمن الكتابة النثرية من عصر التدوين إلى وقتنا الحالي.

انطلاقا مما سبق يمكننا تحديد الخصائص الشعرية للرسالة بوصفها نوعا نثريا.

3-الخصائص الشعرية للرسالة:

يتميز النوع الفني لأدب الرسائل بالحدود الآتية:

[1]-حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي، مكتبة صادر،بيروت-لبنان،1953،ص19

-السذاجة: هي إحدى خصائص الرسالة الأدبية في العصر الحديث "تجعل الكلام فطريا سليما من شوائب التكلف منزها عن زخرف القول بعيدا عن بهرجة الكلام"[1]، فقد كانت بعيدة عن الطابع التقليدي الذي فرض التزويق في الألفاظ والشكل دون اعتبار المعاني، وهاته الخاصية تركز على الإقناع والتأثير والابتعاد عن التعقيد اللفظي.

-الجلاء: "وهو العدول عن الكلام المعلق والتشابيه المستبعدة والتراكيب الملتبسة إلى الكلام المهذب الصريح"[2]، فلتحقيق التواصل الفعال لابد من عنصر الجلاء بحيث يضفي على الخطاب الوضوح والسهولة للتعبير عن الأفكار والمشاعر وهذا سعت إليه الرومانسية في الكثير من الرسائل المتبادلة بين أدبائها.

-الإيجاز: "هو جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة والإفصاح."[3]، من أكثر العناصر التي تبين بأن الكاتب بليغ بحيث يقوم بإيصال الفكرة دون التكلف والإكثار في الألفاظ، فهي صفة تركز على المعاني بدقة واختصار، وهي ميزة لاحظناها في رسائل جبران خليل جبران لغيره من الادباء والسياسيين.

-الملاءمة: "تنزل الألفاظ والمعاني على قدر الكاتب والمكتوب إليه فلا تعطي خسيس الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس خسيس الكلام"، باعتبار مقامات الناس فلكل مقام مقال، أي الأديب ليس كعامة الناس، ومراعاة منزلة المرسل إليه ووجوب اتباع أسلوب كتابة يتلاءم معه، ولذلك يراعي جبران خليل جبران في رسائله مقام المخاطَب، فتارة يستهل رسالته بلفظ (أخي)، وتارة أخرى بلفظ (سعادة المحترم ...) وفي أحايين أخرى بلفظ (عزيزي...)

-الطلاوة: "تكسو الكلام رونقا وإشراقا بجودة العبارة وسلامة المعاني وسلاسة الألفاظ" فهي تضفي الحيوية والجمال في الألفاظ والمعاني، مما يجعل الرسالة لها الحس الإبداعي والجمالي وبذلك تجذب المرسل إليه وتبعث فيه الروح.

المبحث الثاني: مظاهر التجديد في فن التراسل في العصر الحديث

[1]-أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب،المكتبة التجارية الكبرى،مصر،ط27،ج1969،1،ص44

[2]-أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، 196

[3]- المرجع نفسه: ص197

عرف أدب الترسل في العصر الحديث تحوّلا بارزا في الكتابة النثرية الحديثة، فالتراثيون يتمسكون بالتقاليد النثرية المتوارث منذ العصر العباسي المتأخر، بينما الرومانسيون يديرون ظهورهم لكل ما من شأنه أن يعيد استرجاع التراث العربي استرجاعا مرآويا بروح ذلك العصر. هذا الصراع بين الجديد والقديم أفرز لنا ثلاثة اتجاهات متباينة:

1-حركة محافظة مقلّدة:

حاول أنصار البعث السير على منوال المترسلين القدماء، ولاسيما الطرائق الإنشائية التي أرساها كل من عبد الحميد الكاتب والصفدي والقاضي الفاضل وابن العميد. وهي في رأيهم نماذج كتابية فذة تنم عن براعة وقوة في امتلاك ناصية اللغة العربية، ولعل أبرز من سار على هذا النهج شيوخ الأزهر، ومحققي الكتب التراثية، كالطاهر بن عاشور في تونس، وعبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي في الجزائر.

2-حركة تجديدية مفارقة:

تقوم هذه الحركة بتخليص الكتابة التراسلية من السنن البلاغية الموروثة والمراسم الثابتة، والأغراض المنتظمة في أزواج حوارية.

3-حركة انفتاحية:

يعمل هذا الاتجاه على تجديد الكتابة التراسلية بانفتاح متنها على أساليب حديثة وأجناس فرعية وشواغل متجددة وتجارب معقدة.

"نتبين هذا التجديد في ثلاثة مظاهر أساسية:

-المظهر الأول: تعليل الترسل: الوعي بقيمة الرسائل:

تساءل محمود درويش في إحدى رسائله: ‘‘ما قيمة أن يتبادل شاعران الرسائل؟"

قدم الدارسون إجابات مختلفة عن هذا السؤال: منهم من وجد قيمة الرسائل في الكشف عن سيرة الكاتب، ومنهم من وجدها في الكشف عن أسلوبه الفني..."[1]

لقد قدم محمود درويش نفسه إجابات عن هذا التساؤل من خلال رسائله التي أرسلها إلى الشاعر سميح قاسم، وقد جمعت هذه الرسائل في كتاب، ونشرته دار العودة في بيروت، سنة1990، وقد تضمنت هذه الرسائل:

-تبادل هموم الفلسطينيين وحلمهم بإقامة دولة مستقلة يرتع فيها أبناؤهم.

-تبادل اليوميات والسير الذاتية.

-إبراز أهم القضايا الأدبية والنقدية.

"هذه الإجابات-على قيمتها وفوائدها-لا تفيدنا في تحدد القيمة الحقيقية للرسائل وفي تبيين الدور المهم الذي لعبته في مسار تجديد الكتابة النثرية الحديثة. إضافة إلى ما في هذه الإجابات من نظرة تجزيئية وانتقائية.

تهمل هذه الدراسات جانبين:

-**الجانب الأول**: هو القيمة أو الأهمية التي أضفاها كتاب الرسائل أنفسهم على مراسلاتهم والأدوار التي كانوا يعوّلون على الرسائل لتضطلع بها.

-**الجانب الثاني**: هو مراعاة مقام الترسل الحديث وهو مقام غير منفصل عن مشروع، وهاجس التجديد في الكتابة النثرية والتعبير عن الأنا أو الذات (المنغرسة في لحظتها الحاضرة) في مختلف أبعادها وتجلياتها"[2].

المظهر الثاني: تأطير التراسل: ربط التراسل بحداثة الكتابة:

"عبّر جل الكتاب عن مشروع التجديد ومسعى الخروج عن سنن الترسل القديم وأغراضه وابتداع أشكال تراسلية جديدة للتماشي مع روح العصر، وتعبر عن ذواتهم، وأن يمارسوا كتابة متحررة من إكراهات

[1] شفيع بالزين: الرسائل بين الأدباء في العصر الحديث، ص 425

[2] المرجع نفسه، ص 425

السنن القديمة ومتجددة ومتسعة لمسالك المعنى المتشعبة. نعثر في متون الرسائل ومقدماتها على شواهد تبين عن هذا الهاجس التجديدي لدى الكتاب"[1]

وفي هذا الإطار يقول الرافعي:

"وأما بعدُ، فإننا لا نعرف في تاريخ الأدب العربي كلِّه رسالةً كتبت من هذا الطراز، على كثرة كُتّاب العربية وكتبها، وعلى ما أبدعوا في فنون الترسُّل، وعلى أن هذه العربية من أوسع لغات الدنيا فيما خصَّت به المرأة، وما أوقعته على صفاتها، وما أقامته على العاطفة إليها، وما حفلت به من ألفاظ معانيها، حتى لو أمكن أن ترسل لغاتُ الأمم ألفاظَها تستبق في المعاني النسائية، لما كان السَّبق إلا للألفاظ العربية، ولا أوفي على الغاية إلا المعجمُ العربيُّ وحده."[2]

وتذهب غادة السمان إلى أن نشرها رسائل غسان كنفاني هدفه "التأسيس لنوع أدبي منتشر في الدنيا بكثرة ويكاد يكون معدوما عندنا هو أدب المراسلات غير الرسمية، مراسلات الاعتراف: اللون الناقص شبه المفقود في لوحة الأدب العربي، وأعتقد أنّ كل أنثى تزهو (ولو سراً) بعاطفة تدغدغ كبرياءها الأنثوي"[3]، كما يدعو محمود درويش في رسالته الأولى إلى أن تكون الرسائل:

"قلبا للتقاليد وإفلاتا للنص من ضفافه وكسرا للبناء"[4]

ترتبط الرسائل الحديثة بمشروع تحديث الكتابة وتجديد مسالكها الإبداعية، وقد أبان الكتاب عن هاجس مجاوزة النمط التراسلي الكلاسيكي، واستحداث طرق جديدة في الترسل.

عبّر الأدباء الرومانسيين وأدباء المهجر عن رفضهم للكتابة التراسلية "التقليدية"، وما تفرضه على الكاتب من مراسم وسنن وأغراض لم تعد تلائم عصرهم وتصورهم للكتابة وفهمهم للأدب. ودعوا إلى أن تكون الرسائل لسان حال الكاتب وتعبيرا عما يعتمل داخل الذات من أحاسيس وشواغل تضيق عنها الرسائل أحيانا:

---

[1]: شفيع بالزين: الرسائل بين الأدباء في العصر الحديث 426

[2]مصطفى صادق الرافعي: أوراق الورد، رسائله و رسائلها، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1930، ص 13

[3] عبد الحميد الصائح: حدود السرية في مراسلات الأدباء، الحدث، 2020 https://www.alhadathcenter.net/index.php/views/57513-2020-06-13-16-43-09

[4] ينظر شفيع بالزين: الرسائل بين الأدباء في العصر الحديث، ص428

"فالذي أحب أن أفضي به إليك: هو كل خاطرة تخطر في فكري وكل ثورة تحتلم في صدري وكل يأس يتسرب إلى نفسي وكل وميض من الأمل يضيء حياتي وبعبارة أشمل كل ما يمر بي من فكر وعاطفة في مختلف حالات نفسي وأطوارها."

" وفي مراحل الكتابة الأولى أوصى جبران مي زيادة بالكتابة عن ذاتها، وإلى إظهار أسرار نفسها واختباراتها الخاصة ومخبآتها النبيلة، وذلك كله يندرج ضمن مبادئ الحركة الرومانسية بإعادة الاعتبار إلى الفردية والذاتية ومجاوزة القطيعة بين الكاتب وذاته"[1].

أما محمود درويش فقد نادى في الكثير من رسائله الأولى إلى مفارقة النموذج التراسلي المتوارث الذي لم يعد صالحا زمانيا ومكانيا وثقافيا، وأرسى ميثاقا أو بيانا تراسليا بديلا عنما رسمته الشعرية العربية القديمة، يدعو فيه إلى تحديث الكتابة الرسائلية أسلوبا وغرضا من خلال العناصر الآتية:

-تبادل الرسائل علنا بالتزام أمام القارئ العام، وبالتالي قلب للتقاليد.

-التحلي بالجرأة والصدق قدر المستطاع مع مراعاة الصورة العامة التي نحتتها المخيلة الجماعية.

-كسر القوالب الجاهزة التي حددها النقد لفن الترسل.

-تحويل الرسائل الخاصة إلى مجال يتسع للشهادة وكتابة المذكرات والسيرة الذاتية والنقد.

-مراعاة الفارق الدقيق بين الرسالة والمقالة[2].

المظهر الثالث: ممارسة الترسل: أشكال تجديد الترسل:

تعود قيمة الرسائل الحديثة إلى ما اضطلعت به من دور مهم في تجديد الكتابة التراسلية والنثرية عامة. فليست الرسائل مجرد وسيلة تواصل بين الكتاب والإخبار عن حياة المرسل أو الإفصاح عن آرائه الأدبية والفكرية، وإنما هي جزء من مشروع تجديد الكتابة النثرية الحديثة والخروج عن النموذج الأدبي القديم أو التقليدي[3].

[1] شفيع بالزين: الرسائل بين الأدباء في العصر الحديث: ص 428

[2] ينظر المرجع نفسه: ص 428

[3] المصدر نفسه: ص 430

-أشكال التجديد في الكتابة التراسلية الحديثة:

- من الترسل الاضطراري الى الترسل الاختياري:

"الكتابة التراسلية مرتبطة بمقام اضطراري ناشئ عن علاقة التباعد بين المتخاطبين وتارك آثارها في الكتابة التي تعمل على تذليل هذا التباعد أو إلغائه في آن واحد. غير أننا نواجه في الرسائل الحديثة وضعا أو مقاما جديدا أو مخصوصا يخرج فيه الترسل عن المقام الاضطراري (الذي يفرضه التباعد المكاني) إلى مقام "اختياري" يختار فيه الكاتب التراسل مع إمكان التواصل المباشر أو الشفوي. يتعلق هذا المقام بالرسائل المتبادلة بين الأدباء دون أن يفرضها عليهم المقام الأصلي حيث يكون التخاطب الشفوي متاحا لهم لانعدامهم التباعد المكاني (رسائل غسان كنفاني أو أنسي الحاج إلى غادة السمان مثالا)، أو لتفضيل الإبقاء على التباعد لإمكان التواصل ترسلا (رسائل جبران إلى مي زيادة مثلا.)"[1]

المبحث الثالث: تحليل تداولي لرسالة إخوانية لجبران خليل جبران

أما الرسائل التي كتبها جبران فما هي إلا صور ناطقة عن حالاته النفسية، وهواجسه السياسية والأدبية، والرسائل الودية المخلصة هي أصدق الوثائق عن حالة صاحبها المعنوية، ولا غرو فهي انبثاق من صميمه، هي صرخة قلب أو نشوة فال أو خطفة تأمل، أو رؤية أدبية.

1-السند الأدبي:

" رسالة جبران إلى ميخائيل نعيمة:

بوسطن سنة 1921

أخي ميشا

بعد ان قرأت آخر عدد من مجلة الرابطة الأدبية، وبعد أن استعرضت أعدادها الغابرة تيقنت أن بيننا وبينهم هوة عظيمة فلا منا إليهم ولا منهم إلينا. مهما فعلنا يا ميخائيل لا نستطيع أن نحررهم من عبودية القشور اللفظية، الحرية المعنوية تنبعث من الداخل ولا تأتي من الخارج. أنت أعلم الناس بهذه الحقيقة، فلا تحاول إيقاظ من أنزل الله النوم على قلوبهم لحكمة خفية. افعل لهم ما شئت، وابعث إليهم ما

[1] شفيع بالزين: الرسائل بين الكتاب العرب ، ص 433

شئت، ولكن لا تنس أنك ستضع على وجه "رابطتنا" نقابا كثيفا من الشبهة، والشك. إذا كان لنا قوة، فقوتنا في وحدتنا، وانفرادنا. وإذا كان لابد من الاشتراك في العمل فلنشترك مع من يماثلنا ويقول قولنا.

...إذن أنت على شفار الجنون. هذه بشارة جليلة بهولها، هائلة بجلالها وجمالها.

أقول إن الجنون أول خطوة نحو التجرد الرباني. كن مجنونا يا ميشا. كن مجنونا وأخبرنا ما وراء نقاب "العقل" من الأسرار. إن القصد من الحياة الاقتراب إلى تلك الأسرار، وليس كالجنون مطية. كن مجنونا وابق أخا مجنونا لأخيك المجنون.

جبران "[1]

2-حول ظروف التخاطب:

-التعريف بالمتراسلين:

-جبران خليل جبران(المرسل):

مؤسس للرابطة القلمية سنة1920، يعتبر جبران من بين الأدباء والكتاب والشعراء الذين لمعت أسماؤهم في الأدب العربي الحديث والعالمي. وقد خلف جبران بدائع في الأدب، ومن روائع فنه على أنه نفحات من المحبة الكبيرة يبذلها لأبناء الحياة المتعطشين الى المحبة الحقيقية. فجبران الشاعر الثائر في (الأجنحة المتكسرة)، والمتمرد في (الأرواح المتمردة، وعرائس المروج، وحفار القبور، والعواصف)، والحالم في (دمعة وابتسامة)، والحكيم في (المجنون، السابق، والمواكب)، والهادئ في(النبي). فهاته من بين المؤلفات التي اشتهرت في الأدب العربي.

"وجبران في هذا كله هو في طليعة الرعيل الذي شق في الأدب العربي هذا الطريق، وقلمه كان أول قلم عربي، في مطلع عصر النهضة الحاضرة، كان يتفجر بقوة دافقة بنور الحرية والمحبة والأخوة الإنسانية،

[1] جبران خليل جبران: رسائل جبران، تق: جميل جبر، منشورات مكتبة بيروت، لبنان، 1951، ص 63-64

ثم بتأثيره سارت بعض الأقلام الأخرى على الطريق التي عبدها هو بجهاده الكبير"[1]

فأدب جبران من أجود ما عرفه الأدب العربي الحديث من خصاص في انتقاء المواضيع والقوالب، فقد كتب نثرا عاطفيا تصويريا اجتماعيا.

-ميخائيل نعيمة (المرسل إليه):

من بين أهم الذين ذاعت آدابهم في الأدب العربي الحديث وفي العالم، وعضو من أعضاء الرابطة الأدبية "القلمية"، ومن بين أدباء المهجر الشمالي.

في السابع عشر من شهر تشرين الأول(اكتوبر) عام 1889، رأى ميخائيل نعيمة نور الحياة في قرية بسكنتا اللبنانية الصغيرة.[2]

"وعلى أنه لم يؤلف نعيمة في مهجره من الكتب سوى كتابين، فقد كان نشاطه في كتابة المقالات والأقاصيص، وفي نظم الشعر وافرا غزيرا، وقد تجمع لديه من ذلك ما يكفي لبعض المؤلفات الأخرى، وقد نشرت هذه المؤلفات الأخرى بعد عودة نعيمة إلى الشرق، وهي: "همس الجفون، شعر أو كان ما كان، مجموعة الأقاصيص والمراحل، مقالات_ ومذكرات الأرقش، قصة؛ أو كلها او أغلب مواضيعها من إنتاجه أبان وجوده في الرابط القلمية في امريكا."[3] فقد نهج ميخائيل نعيمة في أدبه نهج الفلسفة وتميز نثره بالنثر الروحي.

جمعت هاته الرسالة بين عبقريين من عباقرة الأدب العربي الحديث وتمثلت في العناصر التالية:

المرسل: جبران خليل جبران

المرسل إليه: ميخائيل نعيمة "ميشا"

تاريخ ومكان الرسالة: سنة 1921 ببوسطن

[1] – شفيع بالزين: الرسائل بين الكتاب العرب: ص345

[2]– عيسى الناعوري: أدب المهجر ، ص375

[3]– المرجع نفسه ،ص378

موضوع الرسالة: موقف جبران واستيائه من منشورات مجلة الرابطة الأدبية ودعوة صديقه ميخائيل للوحدة والتفرد الفكري لرفع راية الأدب العربي وتخليصه من شوائب سلطة اللغة.

المؤشرات الزمانية: أول مؤشر زماني السنة التي بعثت فيها الرسالة سنة 1921، ومن الألفاظ التي دلت على الزمان قول جبران "بعد أن" والتي تدل على زمن وقوع ما بعدها المصاحب لحصول ما قبلها. ف"بعد أن قرأت" أي بعد فعل القراءة فتشير هاهنا إلى أن الرسالة قد كتبت بعد قراءة جبران "آخر عدد" من المجلة.

"استعرضت أعدادها الغابرة" وهاته العبارة تدل على زمن الماضي تشير إلى تاريخ سابق قد قرأ فيه جبران الأعداد السابقة التي نشرت في المجلة.

"تيقنت" واليقين يأتي في المرحلة الأخيرة بعد التفكير.

المؤشرات المكانية:

- أول مؤشر مكاني هي مدينة بوسطن المتواجدة بأمريكا.

وهنالك مؤشرات مكانية أخرى كالرابطة الأدبية

من الداخل إلى الخارج أي مكانها الروح والقلب.

"فقوتنا في وحدتنا" فمكان القوة في الوحدة.

"ما وراء نقاب العقل" حيث الأسرار الخفية.

3-فهم مضمون الرسالة:

دارت الرسالة حول موقف جبران من محتوى الأعداد الأخيرة من مجلة الرابطة الأدبية، والآراء والأفكار المعروضة والمقالات المنشورة في هاته المجلة، وتشديد جبران على أهمية الاستقلال الفكري والإبداعي.

أما سبب كتابة جبران لميخائيل نعيمة في هاته الرسالة فتجلى في سببين مهمين يندرجان ضمن أسباب فكرية روحية عقائدية فلسفية.

السبب الأول: مشاركة جبران أفكاره مع ميخائيل بانتقاده لمنشورات مجلة الرابطة وأعضائها فلم تنطبق إديولوجيته وفلسفته وأفكاره وعقائده معهم مشيرا إلى أن محاولات تحرير الفكر الأدبي من القيود التقليدية. بقوله: "القشور اللفظية" التي شرطها الأساسي تنميق وزخرفة الألفاظ والتركيز على الشكل لا على المضمون. فجبران غايته الحقيقية الاهتمام باللباب لا بالقشور لرؤية فكر جديد خارج عن الطابع التقليدي، فلابد من الخروج عن النمط التقليدي للكتابة فلم يلتمس جبران هاته الصفات في مجلة الرابطة الأدبية، ولم تحقق النجاح المنشود التي كان شعارها الحياة والموقف التأملي، ووحدة الوجود وخلق أدب حر قوي والتحرر من كل تأثير قديم في الفهم والإنتاج واستهواء جبران التطلع إلى الأمام. وهذا يرجع إلى أن التأثير الحقيقي ينبع من داخل الإنسان وليس من الخارج.

السبب الثاني: نصح وتوجيه جبران لميخائيل "ميشا" من خلال قوله: "لا تحاول إيقاظ من أنزل الله النوم على قلوبهم"؛ أي عدم محاولة تغيير من أغفل على تقبل أفكار حديثة. وإن "الحرية المعنوية" تنبع من الداخل من الإيمان العميق والرغبة الحقيقية والاستعداد لتقبل الأفكار الجديدة، وليس من محاولة فرض الحرية أو التغيير، وإلا ستفهم خطأ وتجلب الشكوك على الرابطة، وهاته المحاولات ستسلب منك جهدك لا أكثر.

4-وضعية المرسل إليه:

يمكن تصور وضعية المرسل إليه "ميشا" من خلال الرسالة بأنه كاتب وعضو في مجلة الرابطة الأدبية، وهذا يظهر من تعامل جبران من خلال أسلوب الكتابة على أنه شخصية أدبية. وأن جبران مهتم بتبادل الأفكار والتواصل والمناقشة حول القضايا الأدبية.

5-نوع العلاقة التي تربط بين المرسل والمرسل إليه:

علاقة تجاوزت الصداقة إلى الأخوة تجمعهما علاقة وطيدة وعميقة وروحية انعكست هاته العلاقة في الرسائل المتبادلة بينهما ويظهر المرسل مشيرا إليه باسم "أخي ميشا" وهذا الاسم المختصر لميخائيل. كذلك حينما كان يشجعه على الجنون بالمعنى الروحي والإبداعي، فبالنسبة لجبران أن ميخائيل ليس فقط أديبا تجمعهما رابطة أدبية بل تعدت ذلك حيث أنه يشارك معه ويتقاسم كل التجارب والأفكار والأسرار وهذا ما ظهر جليا في الرسالة.

6 -البناء الشكلي للرسالة:

بدأت الرسالة بتحية موجهة إلى ميخائيل نعيمة "أخي ميشا" ثم تطرق إلى محتوى مجلة الرابطة الأدبية معبرا عن الغرض أو الدافع لكتابة هاته الرسالة.

وختمت الرسالة بتشجيعه لميخائيل على الاستمرار في الجنون الروحي ويؤكد على العلاقة الأخوية بقوله: "كن مجنونا وابق أخا مجنونا لأخيك المجنون".

-نوع الألفاظ والتراكيب المستخدمة:

الألفاظ المستخدمة هي ألفاظ متداولة معروفة تعكس أسلوب الكاتب الذي تميز بدقة الحس والتفكير ولغته المتقنة، وكان هذا هدف جبران في تعزيز الديباجة العربية الدارجة على لسان العرب في العصر الحديث. وظهرت هاته الألفاظ المنتقاة في قوله: الغابرة، هوة، القشور اللفظية، الحرية المعنوية، جليلة بهولها، هائلة بجلالها، التجرد الرباني، نقاب العقل، رابطتنا، مطية.

أما التراكيب اللغوية فجاءت على شكل جمل طويلة حيث أنها حتوت على تفاصيل بشكل دقيق، ومعظمها جمل فعلية إيعازية توجيهية نادرا ما استخدم المرسل فيها جملا اسمية.

ومثال ذلك في قوله:

"بعد أن قرأت" جملة فعلية.

"بعد أن استعرضت" جملة فعلية.

"تيقنت أن بيننا وبينهم" جملة فعلية.

"لا نستطيع أن نحررهم" جملة فعلية.

"الحرية المعنوية" جملة اسمية.

"أنت أعلم الناس" جملة اسمية.

"فلا تحاول" جملة فعلية توجيهية.

"افعل لهم ما شئت" جملة فعلية توجيهية.

"هذه البشارة جليلة بهولها" جملة اسمية.

"أقول أن الجنون" جملة فعلية.

"كن مجنونا" جملة فعلية منسوخة.

وعليه عكست الجمل الفعلية غاية المرسل الحجاجية في إيضاح أفكاره فقد كانت مؤشرا لتنوعها ووصف الحدث بدقة.

-الجمل المثبتة والمنفية:

"بعد أن قرأ تأخر عدد "جملة مثبتة.

"بعد أن استعرضت أعدادها "جملة مثبتة.

"تيقنت أن بيننا وبينهم هوة عظيمة" جملة مثبتة.

"لا منا إليهم ولا منهم إلينا" جملة منفية.

"لا نستطيع أن نحررهم" جملة منفية.

"الحرية المعنوية تنبعث من الداخل" جملة مثبتة.

"لا تأتي من الخارج" جملة منفية.

"أنت أعلم الناس بهذه الحقيقة" جملة مثبتة.

"إن القصد من الحياة الاقتراب إلى تلك الأسرار" جملة مثبتة.

"إن الجنون أول خطوة نحو التجرد الرباني" جملة مثبتة.

-الأساليب الإنشائية:

-الجمل الطلبية الأمرية:

"افعل لهم ما شئت"،" ابعث إليهم ما شئت"، "كن مجنونا" تكررت ثلاث مرات، "أخبرنا ما وراء"، "ابق أخا".

-جمل النهي:

"لا تحاول إيقاظ".

"لا تنس أنك ستضع".

-جمل الاستفهام:

"إذن أنت على شفار الجنون".

-جمل النداء:

"يا ميخائيل"، "يا ميشا".

-الصور البيانية المستخدمة في خطاب جبران:

"عبودية القشور اللفظية" استعارة تصريحية.

"الحرية المعنوية" استعارة مكنية.

"أنزل الله النوم على قلوبهم" مجاز مرسل.

"نقابا كثيفا من الشبهة والشك" استعارة مكنية

فقد تفنن جبران في كتابة خطاب نثري تصويري مليء بسبحات الخيال الخصب وجمال التصوير يستجلي أغوار النفس ورقرقة الشعور.

-نوع الضمائر المستخدمة:

-ضمائر المتكلم: إظهار وجهة النظر والرؤية الشخصية للمرسل حول الموضوع المناقش في الرسالة، كذلك لتحديد الانتماء والوحدة.

-ضمائر المخاطب: التوجيه المباشر لشخص محدد المرسل إليه "أنت يا ميخائيل"التواصل الشخصي، تعزيز الإقناع والتأثير في المرسل إليه والنصح، التفاعل المباشر، المطارحات الإخوانية.

7-البناء النفسي للرسالة:

-الحالة النفسية للمرسل:

يبدو جبران ساخطا على الذين نشروا في مجلة الرابطة، من آراء مترجمة بألفاظ منمقة، فمن خلال الرسالة كانت نفس جبران تثور من فقده الآمال التي كانت معلقة في أعضاء الرابطة الذين نسوا العهد الأساسي في تأسيس هاته الرابطة، وهي جعل أدبهم منبرا حرا لأصواتهم الحبيسة وعن معاناة مجتمعهم وواقعهم الأليم والدفاع عن قضيتهم بكل ما فيهم من حرارة وقوة، ولكن جبران مما بدا له من خلال ما عرض في المجلة أنهم لازالوا غير قادرين على التحرر من قيود سلطة القديم مما جعلت نفسيته غير مستقرة وفي حسرة وحيرة وتأسف.

-الحالة النفسية للمرسل إليه:

يمكن رصد الحالة النفسية للمرسل إليه: من خلال قول جبران: "إذن أنت على شفار الجنون" فمفهوم الجنون هنا يمثل رمزا ومؤشرا على معان عميقة وهنا يقصد جبران أن "ميخائيل" في حالة التأمل الوجودي والروحي والبحث عما وراء الطبيعة من أسرار والتعمق في خبايا الكون والتعمق في كل مجالات الوجود بحيث أن كلا من جبران وميخائيل تمثلهما وتجمعهما وحدة الوجود ووحدة الإنسانية والنزعة الفلسفية والعاطفية والروحية والأفكار الشامخة.

-ماذا يتوقع المرسل من المرسل إليه:

يخاطب جبران في هاته الرسالة صديقه ميخائيل بأن يكون مركزا على وحدتهما حيث يشير إلى أن قوتنا في وحدتنا وانفرادنا والتمسك بتنيير الفكر ومشاركة الأفكار ووحدة متماسكة ومترابطة الأطراف لا انفصال فيها وان كل فينا يكمل الآخر واستقلالهما الفكري .

خاتمة

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة توصلنا إلى أن:

لفن الترسل امتدادا تاريخيا عميق في الأدب العربي، حيث كان جزءا مهما من التراث الأدبي عبر العصور بدءا من العصر الجاهلي.

فن الترسل يتسم بتنوع موضوعاته ومرونته مما جعله نوعا أدبيا غنيا ومتعدد الأبعاد.

يتسم أيضا باختلاف موضوعاته مما يعكس تنوع الحياة الإنسانية واحتياجاتها المختلفة من بينها رسائل التعزية، الشكر، الثناء وغيرها من الموضوعات.

تنوعت الرسائل في الأدب العربي حسب الضرورة والسياق حيث تلبي احتياجات مختلفة وتعكس الأغراض والمناسبات فكانت منها الرسائل الديوانية التي تتعلق بأمور السلطة والحكم ومنها الإخوانية المتبادلة بين الأهل والأصحاب ومنها الأدبية التي كانت بين الأدباء والكتاب.

ساهم فن الترسل بشكل كبير في إثراء الأدب العربي الحديث، حيث استخدمه الكتاب كوسيلة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم من خلال الرسائل تمكن الكتاب من التواصل مع القراء بشكل مباشر وشخصي، إذ تنوعت مواضيعها لتشمل مختلف جوانب الحياة.

فن الترسل يعد مرآة حية تعكس روح العصر، حيث تكشف عن مدى تألق الكاتب الفكري والأدبي إضافة إلى قوته في التعبير وتنوع أساليبه.

التجديد في فن الترسل عرف حركتين: حركة تجديد مفارقة: تسعى إلى تحطيم القيود التقليدية للبلاغة والمراسم الثابتة هدفها الأساسي تحرير الكتابة من السجن البلاغي.

انتقال فن الترسل من الغاية الوظيفية إلى الأدبية في العصر الحديث فأصبح فنا ينقل حياة الأدباء وتجاربهم والتحدث في قضايا الأدب، وبذلك فتح نافذة لمعرفة القراء وتقريبهم من أسرار الأدباء.

حركة تجديد إنفتاحية؛ حيث تعكس هذه الحركة شغف الكتاب باستكشاف مجالات جديدة في الكتابة الترسيلية حيث يسعون إلى تقديم مضامين غنية ومتنوعة، بفضل هذا التجديد يتم توسيع الآفاق الأدبية وتنويع الأساليب التعبيرية.

فن الترسل جنس ادبي نثري مستقل قائم بذاته له اعرافه، ضوابطه، خصائصه وبنياته.

الترسل كتابة إبداعية ملازمة لكل امة وحضارتها وتطوراتها ويعتبر شاهد عيان لها وعن كل تغيير يطرأ فيها في مجالاتها السياسية، الاقتصادية والثقافية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

المعاجم:

1. ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ج2، 1979م.

2. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الإفريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، مادة (ر.س.ل).

3. المعجم الوسيط: دار انتشارات ناصر، إيران، ج1، ط2.

4. أحمد مختار وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ط1.

5. عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984.

6. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ،1999، ج1.

الكتب باللغة العربية:

1. أبو السعود سلامة أبو السعود، رمضان خميس القسطاوي، الأدب العربي في مختلف العصور.

2. أبو السعود سلامة أبو السعود، رمضان خميس القسطاوي: الأدب العربي في مختلف العصور، العلم والايمان للنشر والتوزيع، دط،2017.

3. أحمد الاسكندري، مصطفى عنانى: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، مطبعة المعارف، الفجالة- مصر، ط5 ،1925.

4. أحمد الشايب: الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الاساليب الادبية)، مطبعة النهضة، القاهرة- مصر، ط6 ،1966.

5. أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط27، ج1 ،1969.

6. أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، 196.

7. أنيس المقدسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط6، بيروت-لبنان،1979.

8. جبران خليل جبران: رسائل جبران، تق: جميل جبر، منشورات مكتبة بيروت، لبنان، 1951.

9. جرجي زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية، دار الهلال، القاهرة-مصر، دط، دت، ج2.

10. حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي، مكتبة صادر، بيروت-لبنان،1953.

11. حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي (قضايا وفنون ونصوص)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1 ،2007.

12. حسين محمود وآخرون: فنون النثر العربي الحديث، جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ط1، 1995.

13. حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الادب العربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، ط1 ،2002.

14. الحصري القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروجيا 4.

15. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل بيروت، لبنان، ط1 ،1986.

16. رشيد يحياوي: مقدمات في نظرية الأنواع الأدبية، وكالة الصحافة العربية، الجيزة-مصر، 2016.

17. زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع هجري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، د ط،2013.

18. سعيد يقطين: الكلام والخبر مقدمة السرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط1 ،1997.

19. شفيع بالزين: الرسائل بين الأدباء العرب في العصر الحديث، زينب للنشر والتوزيع ، قليبية، تونس، 2019.

20. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، 1945.

21. شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي (عصر الدول والإمارات: الجزائر-المغرب الاقصى-موريتانيا-السودان)، دار المعارف، ط1، القاهرة-مصر.

22. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، (العصر العباسي الأول)، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط8، ج8.

23. صلاح فضل: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، ط1 ،1968.

24. الطاهر توات: أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين 7و8، ديوان المطبوعات، ج2، ط2.

25. طه حسين وآخرون: التوجيه الأدبي، المطبعة الاميرية، القاهرة-مصر،1952.

26. عبد العزيز شبيل: نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري (جدلية الحضور والغياب)، دار محمد علي الحامي، صفاقس-تونس، ط1 ،2001.

27. عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط2.

28. عبد العزيز عتيق، الادب العربي في الاندلس، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، دط،1976.

29. عبد المنعم الخفاجي، دراسات الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1 ،1992.

30. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط9،2013.

31. عزالدين إسماعيل: الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر،2013

32. علي الجندي: في تاريخ الأدب الجاهلي، مكتبة دار التراث، ط1، 1994.

33. علي شلق: نقاط التطور في الأدب العربي: دراسة تحليلية شمولية للمواقف الرئيسية في مجرى تاريخ الأدب العربي مع مقارنات بمواقف منحازة في الأدب العالمي، دار القلم، 1975.

34. عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، ط،2007.

35. عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ج1، ط4.

36. عيسى الناعوري: أدب المهجر، دار المعارف، ط3، مصر، ص344.

37. فيروز رشام: شعرية الأجناس الأدبية في الأدب العربي (دراسة أجناسية لأدب نزار قباني)، دار فضاءات، عمان، الأردن، ط1 ،2017.

38. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة-مصر، دط،1922، ج1.

39. مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان،1974.

40. محمد القاضي: الخبر في الأدب العربي (دراسة في السردية العربية)، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، ط1 ،1998.

41. محمد خير شيخ موسى: النثر الفني في النقد العربي (فن الكتابة)، مكتبة ابن كثير، الكويت، ط1 ،1997.

42. محمد صلاح الشنطي، ا لأدب العربي الحديث(مدارسه وفنونه وتطوره وقضاياه ونماذج منه) ، دار الاندلس للنشر والتوزيع، حائل-السعودية، ط1،1992.

43. محمد عبد الرحمان الشارخ، النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية، دار العلوم، الرياض، السعودية، ط،1993.

44. محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية-مصر، ط1 ،2004.

45. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط9 ،2008.

46. محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط5 ،2006.

47. محمد يوسف نجم، فن المقالة، الجامعة الامريكية، بيروت-لبنان، ط1 ،1997.

48. محمود تيمور، فن القصص، دار الهلال، مصر، ط2 ،1948.

49. المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط1، 1991، ج1.

50. مسعد بن عبد العطوي، الأدب العربي الحديث، الألوكة، تبوك، السعودية، ط1، 2009،

51. مصطفى صادق الرافعي: أوراق الورد، رسائله ورسائلها، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1930.

52. شفيع بالزين: الرسائل بين الأدباء العرب في العصر الحديث، زينب للنشر والتوزيع، قليبية، تونس،2019.

الكتب المترجمة الى العربية:

1. ايف ستالوني: الأجناس الأدبية، تر: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، ط1، 2014.

2. رالف كوهين: "فصل التاريخ والنوع"، ضمن كتاب تودروف وآخرون، القصة، الرواية، المؤلف، دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة، تر: خيري دومة، دار الشرقيات، القاهرة-مصر، ط1،1997.

3. رينيه ويليك، أوستن دارين: نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2 ،1987.

المجلات:

1. أحمد حسن الزيات: اللغة العربية، مجلة الرسالة، ع 641، ص 14.

2. ميخائيل نعيمة وآخرون: في الأدب العربي الحديث، مجلة الأبحاث، بيروت، لبنان، ط1 ،1954.

مواقع الانترنت:

1. عبد الحميد الصائح: حدود السرية في مراسلات الأدباء، الحدث، 2020 https://www.alhadathcenter.net/index.php/views/57513-2020-06-13-16-43-09.

2. فتحية دبش :
https://www.facebook.com/fathia.dab.5/posts/pfbid0oHD7erRt3HpDtyJB7K2FxGwG86qM94JeXkvg9KbwDX3VmqeZDc2JhBxm3zoEkrWKl.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة ..... أ

المدخل: تطور الكتابة النثرية في العصر الحديث

الفصل الأول:

فن الترسل، مفهومه، نشأته، أنواعه، أشهر كتابه.

المبحث الأول: مفهوم الترسل لغة واصطلاحا 12

المبحث الثاني: نشأة فن الترسل عبر العصور 19

المبحث الثالث: انواع الرسالة وأشهر المترسلين 27

الفصل الثاني:

مظاهر التجديد في فن الترسل في العصر الحديث واشكالية التجنيس.

المبحث الأول: اشكالية التجنيس 37

المبحث الثاني: مظاهر التجديد في فن التراسل في العصر الحديث 43

المبحث الثالث: تحليل تداولي لرسالة اخوانية لجبران خليل جبران 48

خاتمة **58**

قائمة المصادر والمراجع **61**

فهرس المحتويات **68**

الملخص:

فن الترسل في العصر الحديث يشكل امتدادا للفنون الراقية التي خطتها الأقلام بحبر الدقة والإبداع، والتي تسعى لدفع عجلة الأدب وتنويره بلمستها الفنية الإبداعية .وتمثل المراسلات قناة تصل بين العقول والقلوب، ونقل الأفكار والأحاسيس الجليلة بأساليب امتازت بالدقة والمعاني النيرة التي امتزجت من تفاعل التقاليد الأدبية ومتطلبات العصر الحديث .إذن هذا الفن عكس الأحداث والتطورات التي قربت بذلك صورة الأدب والأديب معا، وهذا راجع لاختيار المواضيع التي مست المجتمع ،حيث كان فن الترسل شاهدا على كل مرحلة من هذا التغيير ويظل هذا الفن محافظا على تراثه ومواكبا لكل جديد.

الكلمات المفتاحية: فن الترسل، العصر الحديث، المراسلات، محافظا، الفنون الراقية، التغيير، التقاليد الأدبية، الادب.

Abstract:

The art of correspondence in the modern era constitutes an extension of the fine arts written by the pens with ink of precision and creativity, which seek to advance the wheel of literature and enlighten it with its creative artistic touch. Correspondence represents a channel that connects minds and hearts and conveys sublime ideas and feelings in methods characterized by precision and luminous meanings that are mixed with the interaction of traditions. Literary literature and the requirements of the modern era.

Therefore , this art reflects the events and developments that brought the image of literature and the writer closer together, and this is due to the selection of topics that affected society .The art of transmission was a witness to every stage of this change, and this art remains preserving its heritage and keeping pace with everything new .

Keywords: Art of correspondence, the modern era, Correspondence, Conservative ,Fine arts, Change , Literary traditions ،Literature .